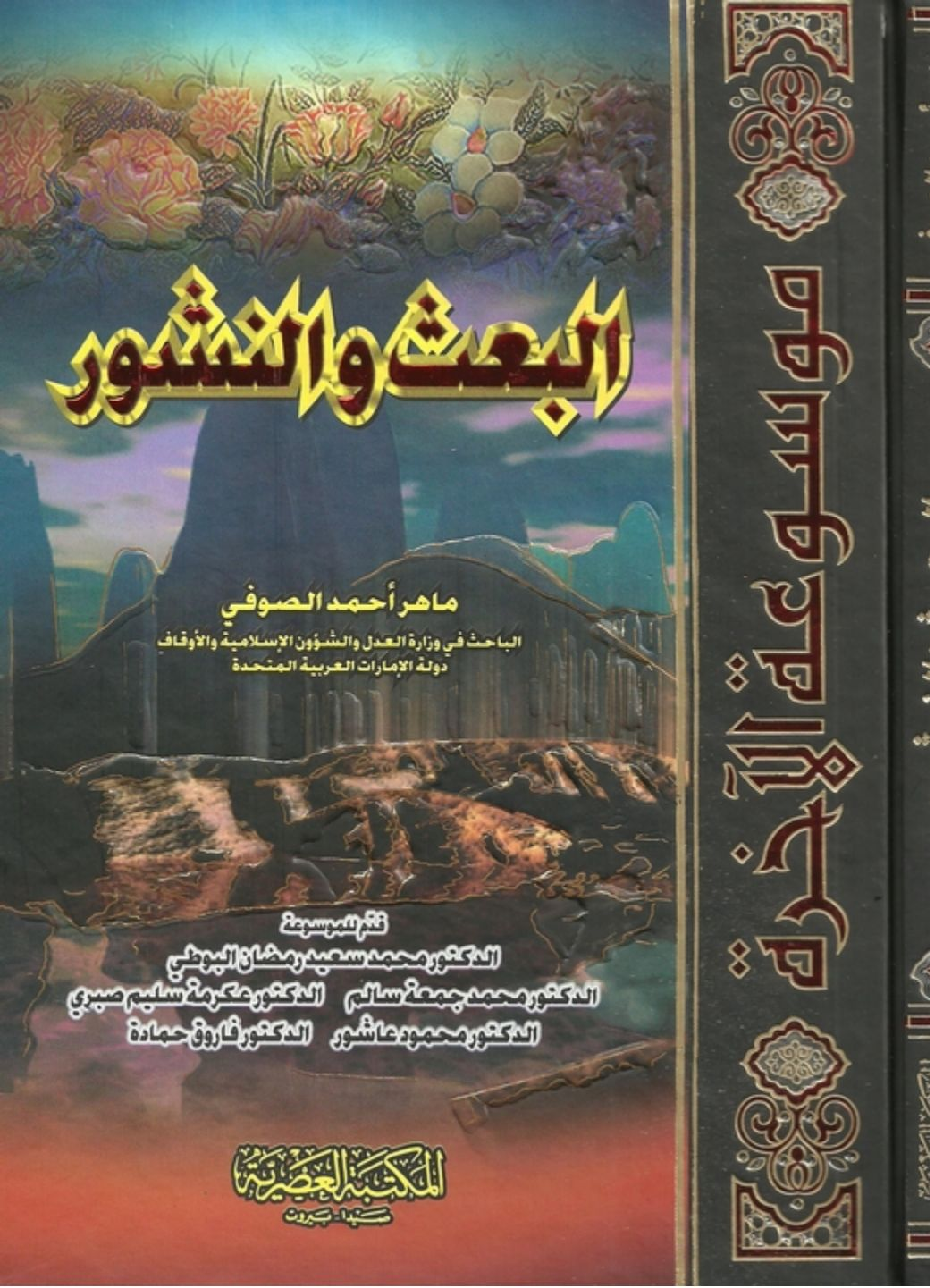


البعث والنشور
ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة
قدم للموسوعة
الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
الدكتور محمد جمعة سالم
الدكتور عكرمة سليم صبري
الدكتور محمود عاشور
الدكتور فاروق حمادة
المكتبة العصرية
صيدا - بيروت
موسوعة الآخرة
البعث والنشور
ماهر أحمد الصوفي

سلسلة
موسوعة الآخرة

البعث والنشور

ماهر أحمد الصوفي
الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف
دولة الإمارات العربية المتحدة

قدم للموسوعة

الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

الدكتور محمد جمعة سالم — الدكتور عكرمة سليم صبري

الدكتور محمود عاشور — الدكتور فاروق حمادة


المكتبة العصرية
صيدا - بيروت



شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق ـ ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ ـ ٦٣٢٦٧٣ ـ ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت ـ لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق ـ ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ ـ ٦٣٢٦٧٣ ـ ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت ـ لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري ـ ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ ـ ٧٢٩٢٥٩ ـ ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا ـ لبنان

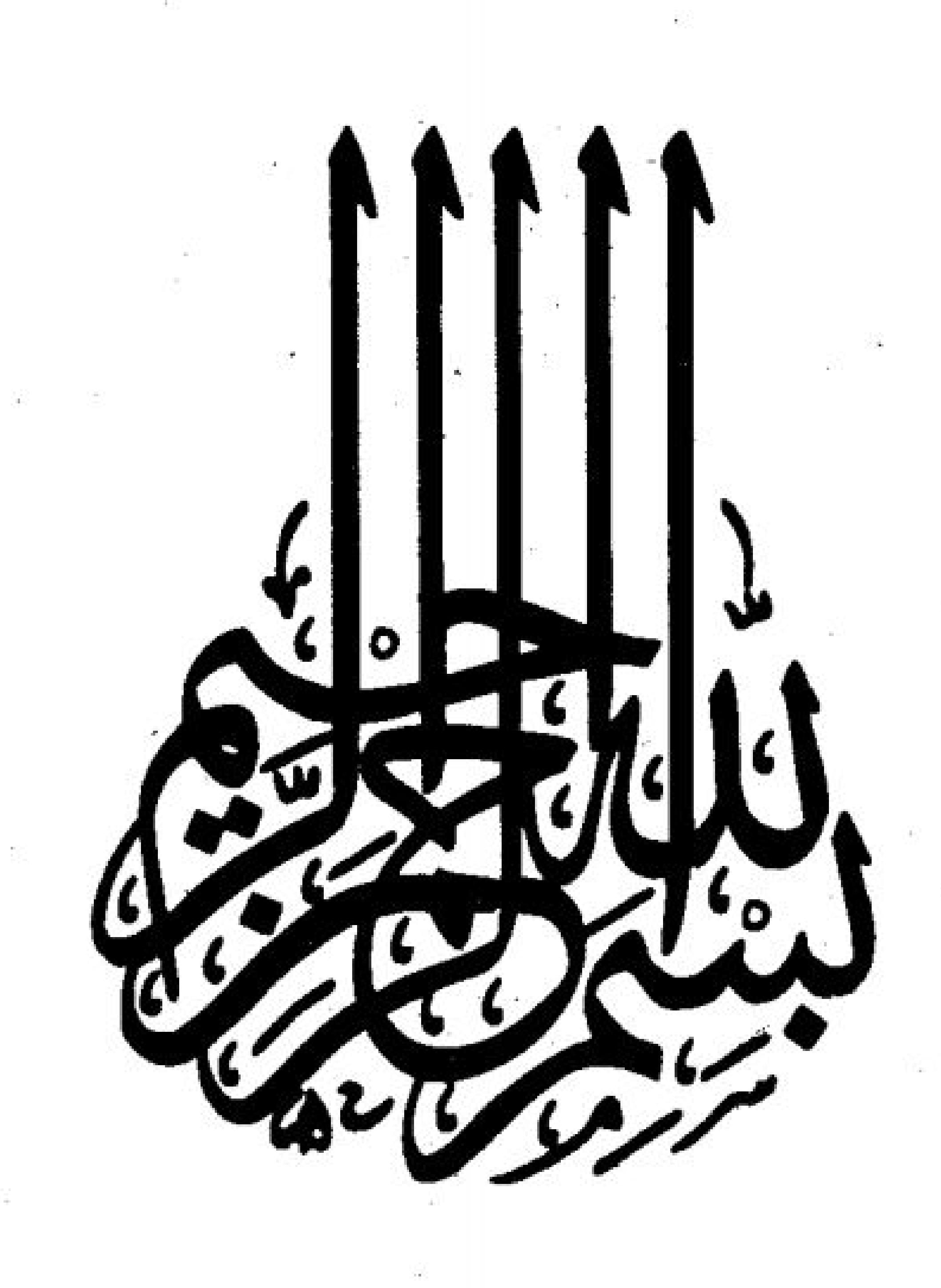
٢٠١٠م - ١٤٣١هـ

E. Mail
alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

ISBN 9953-34-342-X


بسم الله الرحمن الرحيم



قدّم لموسوعة الآخرة

كلٌّ من السادة الأفاضل

١- الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

٢- الدكتور محمد جمعة سالم : وكيل وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف - دولة الإمارات العربية المتحدة.

٣- الدكتور عكرمة سليم صبري : خطيب المسجد الأقصى ومفتي القدس والديار المقدّسة.

٤- الدكتور محمود عاشور : وكيل الأزهر الشريف سابقاً.

٥- الدكتور فاروق حمادة : أستاذ السنة وعلومها بكلية الآداب جامعة الملك محمد الخامس - الرباط.

لقد تم تثبيت هذا التقديم
في الجزء الأول
من موسوعة الآخرة




أسماء وعناوين أجزاء

سلسلة موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول : علامات الساعة الصغرى والوسطى

٢ ـ الجزء الثاني : علامات الساعة الكبرى

٣ ـ الجزء الثالث : الموت وعالم البرزخ

٤ ـ الجزء الرابع : الحشر وقيام الساعة

٥ ـ الجزء الخامس : البعث والنشور

٦ ـ الجزء السادس : بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر
الحوض ـ الشفاعة العظمى

٧ ـ الجزء السابع : الحساب والعرض على اللّه سبحانه

٨ ـ الجزء الثامن : ـ الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ
أنواع الشفاعات

٩ ـ الجزء التاسع : النار أهوالها وعذابها

١٠ ـ الجزء العاشر : جنان الخلد نعيمها، وقصورها وحورها

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ٢٨]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٥]

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٨]

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾.

[سورة التغابن، الآية: ٧]

حديث شريف:

ـ عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول:

«ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً، فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق، ويصعق الناس، ثم يرسل ـ أو قال: ينزل اللَّه مطراً كأنه الطَّل أو الظِّل فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون»

[رواه مسلم رقم ٢٩٤٠]

ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ما بين النفختين أربعون»** قالوا لأبي هريرة: أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، **«ثم ينزل اللَّه من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل»**. قال ﷺ: **«وليس شيء من الإنسان إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عَجْب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة»**.

[متفق عليه]

الإهـداء

وهبت عملي . . . .

إلى اللَّه تعالى . . ربنا ورب الآخرة والأولى الذي لا تضيع عنده الصالحات القائل في محكم كتابه :

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ * ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ .

فتقبل مني إنك أنت السميع العليم .

إلى رسول اللَّه ﷺ الذي قدَّم في سنته الشريفة علماً غزيراً عن كل حقائق الآخرة بدءاً من أشراط الساعة والموت وعالم البرزخ وقيام الساعة إلى عالم الجنة والنار فدلَّنا وأرشدنا ونبَّهنا وعلَّمنا . . اللَّهم صلِّ وسلِّم عليه حتى نلقاه بإذنك على الحوض يوم القيامة .

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور
محمد سعيد رمضان البوطي

الحمد للّه الذي بنعمته تتم الصالحات وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد ابتلي كثير من المسلمين في هذا العصر بالاستيحاش من الحديث عن سلسلة الأحداث التي تواجه العبد، عند انتهاء أيامه وساعاته في هذه الحياة الدنيا، والتي لا بدّ أن يعبر منها بوابة الموت. وإنك لتسمع أحدهم يقول، عندما يذكّر بالموت وما وراءه من أحداث اليوم الآخر: إننا نتمتع الآن بنعم الدنيا، فلا تنقص علينا متعتنا بالحديث عما وراءها من أخبار الموت وما بعده...

وإنه لغباء عجيب أن يغمض الإنسان عينيه عن الطريق الذي لا مناص له من السير فيه، غير مبال بالعقبات التي ينبغي أن يحيد عنها، وبالحفر التي يجب أن يتجنبها، والالتواءات التي لا بدّ له من اتباعها والدوران معها، وهو يعلم أنه لا بديل له عن هذا الطريق وأنه لا يملك إلا التوجه إليه والسير فيه...

وقد علمنا جميعاً أن دقات الزمن لا تتوقف، وأنها إنما تحصي ساعات العمر ودقائقه فما من يوم يمرّ إلا ويدني صاحبه بمقدار ذلك إلى أجله، ويبعده بالمقدار نفسه عن دنياه:

يسّر المرء ما ذهب الليالي وكان ذهابهن له ذهابا

ثم إن صلاح الحياة الدنيوية رهن بما ينبغي أن يعلمه الإنسان من أحداث الحياة الآخرة.. فمن كان على بيِّنة من يوم الجزاء، استقام في سلوكه وتعامله مع الآخرين أيام دنياه. ومن كان غافلاً عنه غير مبالٍ به، لم يجد ما يدعوه إلى أي استقامة مع نفسه ولا مع الآخرين.

ومما يزيد هذا الابتلاء خطورة أن كثيراً من المشتغلين بما يسمى اليوم بالفكر الإسلامي ينأون هم الآخرون عن الحديث عن الموت وما بعد الموت، ويحصرون بحوثهم الفكرية عن الإسلام داخل ساحة لا تتجاوز المعايش الدنيوية وأحداثها ومشكلاتها، وكأنهم يصانعون الناس ويجارونهم في إعراضهم عما يستوحشون أو يتشاءمون من الخوض فيه.

* * *

ولما أهدى إليّ العالم الباحث في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في دولة الإمارات العربية المتحدة، الشيخ ماهر الصوفي، كتابه الممتع النادر «موسوعة الآخرة» لم أشكّ في أن عاقبة هذا الجهد الكبير لن تكون سوى الإعراض عنه والتخوف مما يحمله إلى الناس من مشاعر التشاؤم والوحشة، ومن تنغيص ساعات لهوهم عليهم بمخاوف المستقبل.

ولكن كم كانت المفاجأة سارة والغبطة كبيرة، عندما أكد لي المؤلف أن الطبعة الأولى منه نفدت خلال أشهر لم تبلغ تمام العام.

إذن، لئن كان في الناس من لا يريد أن يسمع شيئاً عن أحداث ما بعد هذه الحياة الدنيا، فإنه لا يزال فيهم الكثير ممن يصغي السمع إليها، ويربط حياته الحاضرة بالمستقبل الذي هو آيل إليه.

ويبدو أن هذا الفريق الثاني من الناس، يعاني من ظمأ إلى من يبصّره مفصلاً عن ذلك المستقبل ويحدثه بتوسع عن أحداثه ومراحله. ولا غرابة في أن يتحكم بهم هذا الظمأ عندما يبحثون، فلا يجدون من أحاديث «الفكر الإسلامي» إلا ما يتناول الدنيا وشؤون وتقويم الأحداث التي تتكاثر وتتطور فيها.. ومن ثم فلا غرابة في أن يقعوا من هذا العنوان المتألق: «موسوعة الآخرة» على بغيتهم التي ينشدونها، وعلى معرفة المصير الذي سيتأتى لهم ربط حياتهم الدنيوية به.

ولقد استعرضت السلسلة المتدرجة من أحداث يوم القيامة ومقدماته، موزعة على أجزاء هذا الكتاب، وبدأت أقرأ بإمعان أول أجزائه وهو يتناول الحديث عن المقدمات التي ستتجلى بين يدي قيام الساعة، مؤكدة لها ومنذرة بها.. فأعجبني في المضمون ما ألزم به المؤلف نفسه، من توثيق الأخبار وتخريج الأحاديث والالتزام بترتيب الأحداث.. وأعجبني في الشكل العناية المتميزة بالتنفيذ وتوظيف ذلك لتقريب المعنى وتيسير الدلالة كما أعجبني فيه أناقة الإخراج وجمال المظهر.

وأنه لتوفيق إلّهي أن يجنَّد ذلك كله لتعبيد السبيل ما بين فكر القارئ الذي ربما استهوته زهرة الدنيا ومفاتنها، وبين المآل العظيم الذي هو آيل إليه. وإنها لحكمة عالية أن يفرش على جنبات هذا السبيل ما يؤنس القلب ويريح العين ويبعث في النفس الرغبة في السير مع الأحداث المتتابعة التي يمضي بك إلى نهايتها معراج هذا الكتاب.

والمأمول أن يتم اللّه فضله، فيجعل من الإقبال على هذه الموسوعة، ومن السير العقلي والقلبي مع أحداث يوم القيامة فيها، ما

يضبط سلوك القارئ في حياته الدنيا بميزان العدل ونبراس العلم، وسلطان الحق، ويوقظ من مراقبته للَّه ما يجعله قيماً على سلوكه، وتصرفاته مع الآخرين.

أما الأخ الباحث العالم الذي وفقه اللَّه لإخراج هذه الموسوعة التي تضع الإنسان أمام قصة الرحلة التي قضى اللَّه بها عليه، فأسأل اللَّه أن يجزل له الأجر عليها، وأن يجعل من هداية الناس بها مصدر مثوبة له؛ وإنها لصدقة جارية لن ينقطع عنه رفدها إلى يوم الدين والحمد للَّه رب العالمين.

أبوظبي في ١٧ رمضان المبارك عام ١٤٢٥هـ.

محمد سعيد رمضان البوطي

البعث والنشور

سلسلة ـ موسوعة الآخرة ـ الجزء الخامس
دراسة واقعية لعالم البعث والنشور مستندةٌ

ـ إلى كتاب اللَّه تعالى : القرآن الكريم الذي أقسم اللَّه سبحانه فيه على البعث والنشور .

ـ إلى أحاديث رسول اللَّه ﷺ التي أكدت بعث ونشور الخلائق جميعاً .

ـ إلى حقيقة الحياة الدنيا وحقيقة صيرورتها إلى عالم الفناء .

ـ إلى كل المعطيات الفكرية التي تؤكد بعث الناس ونشرهم ووقوفهم بين يدي اللَّه سبحانه للحساب والجزاء .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

قضية البعث والنشور قضية تعيش واقعها مع البشرية، منذ خلق اللَّه سبحانه آدم عليه السلام، وبقيت مثار جدل شديد بين الأنبياء وأقوامهم الذين أرسلهم اللَّه سبحانه إليهم. . وبقيت الأجيال من بعدهم في صراع وجدل شديدين حول قضية البعث والنشور، منهم من آمن وصدق وهم قلة، ومنهم من كفر باللَّه وبالبعث والنشور بل أنكروها نكراناً شديداً، وهم الغالبية من البشر خلال تلك الأجيال المتعاقبة منذ عهد آدم عليه السلام وإلى يومنا هذا.

. . . . ولا أدري لماذا كانت البشرية تصر على عدم البعث والنشور؟ ولا أدري ما الذي كانت تجنيه من وراء مكابرتها ومعاندتها؟

فهل يعيش الإنسان بدون أمل؟ وهل تتحقق السعادة في متعة مؤقتة، يعيشها الإنسان في حياته القصيرة التي لا تتجاوز في المتوسط ما بين ٦٠ ـ ٧٠ ـ عاماً ثم يتحول إلى تراب وفناء أبدي لا رجعة فيها ولا حساب ولا جزاء للمحسن ولا عقاب للمسيء. . فالعقل البشري لا يمكن أن يقبل هذه الخرافة ولم يخلقه اللَّه تعالى ليقبل هذه المقالة الفاسدة، بل خلقه اللَّه سبحانه على فطرة الإيمان باللَّه تعالى وبالبعث والنشور، فالعقل هو المِيزة التي ميز اللَّه سبحانه بها الإنسان على كثير ممن خلق، وأكرمه به، ولا يمكن أن يقبل قضية الفناء الأبدي والتي هي أضغاث أحلام وأن يقول: إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت فيها ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر بأيامه ولياليه. . . فكيف بعقل خلقه اللَّه

سبحانه ثم يكفر به وبالبعث والنشور ويوم القيامة والجنة والنار؟ . . . .
لذلك جاء القرآن الكريم ليقر حقيقة البعث والنشور، وأنها البداية الحقيقية لحياة الإنسان بعد امتحانه وابتلائه في حياته الدنيا، جاء القرآن الكريم ليقسم اللّٰه سبحانه فيه على لسان رسوله ﷺ على البعث والنشور وأنه حقيقة مطلقة لا شك فيها ولا لَبْس.

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ .

[سورة التغابن، الآية: ٧]

وبيَّن اللّٰه سبحانه في كتابه الكريم وفي كثير من الآيات الكريمة خسران وبطلان دعوى الأجيال السابقة على نكرانهم لحقيقة البعث والنشور، حيث أصروا واستكبروا وكفروا لقاء متعة زائلة ينالونها في بعض سنوات حياتهم الدنيا، أنكروا البعث والنشور نكراناً مطلقاً، لأن الإيمان به يلغي من حياتهم الدنيا متطلباتِ الشهوة المحرمة والمتعة المحظورة ولا بدَّ لهم أن يستقيموا كما أمر اللّٰه سبحانه على لسان رسله وأنبيائه وأن يعبدوا اللّٰه سبحانه ويطيعوه عن حب ورغبة.

يقول تعالى على لسان أولئك الأقوام:

﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ .

[سورة الجاثية، الآية: ٢٤]

بل ذهبوا مذهب الاستهزاء من رسلهم وما يقولونَهُ عن الساعة والبعث والنشور.

يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ .

[سورة الجاثية، الآية: ٣٢]

ثم توجه القرآن الكريم توجهاً آخر لقبول حقيقة الساعة والبعث والنشور، حيث طلب من البشر أن يسيروا في الأرض لينظروا كيف خلق اللّٰه الخلق، وكيف تموت الخلائق ويفنى كل شيء، وكذلك طلب منهم أن يتفكروا في خلق السموات والأرض، من خلال ما وهبهم اللّٰه سبحانه من العقل، لأن في التفكير نتيجةً حتمية إلى قبول سنة اللّٰه سبحانه في هذا الكون، والإيمان قطعاً أن هناك بعد الحياة بعثاً ونشوراً وحساباً، لأن من تمام الخلق تمام الحكمة ومن تمام الحكمة تمام العدل ولا يمكن للعدل المطلق إلا أن يكون حقيقة نهائية لخلق هذه الخلائق، وهذا لا يتحقق إلا بعد امتحان البشر على هذه الأرض وبعد الموت والبعث والنشور.

. . . . فالمنكرون للبعث والنشور لم تدلهم عقولهم على النكران، لأن هذا يخالف عقولهم المخلوقة، إنما دلتهم شياطينهم التي أغوتهم بتفضيل متعة زائلة وشهوة عارضة على قبول حقيقة البعث والنشور، وأرى أن هذا عذاب من اللّٰه سبحانه لتلك البشرية التي أصرت وكابرت وعاندت الحقائق الموجودة فيكونون للشياطين أولياء، وقد بيَّن اللّٰه سبحانه ذلك على لسان إبراهيم عليه السلام وهو ينصح أباه آزر بأن لا يمسه من اللّٰه عذاب فيصبح للشيطان ولياً.

﴿ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴾ .

[سورة مريم، الآية: ٤٥]

لذلك لمّا وقع من هؤلاء الكفار والمشركين النكرانُ للوحدانية والبعث والنشور أرسل لهم الشياطين تؤزهم أزًّا.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا * فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾.

[سورة مريم، الآيتان: ٨٣، ٨٤]

.... ولو أن الإنسان نظر إلى ما حوله وإلى حقيقة هذا الكون وما يجري من حوله لدلته الحقائق إلى لقاء اللّه سبحانه في نهاية الأمر.... فما من ذرة في هذا الكون إلا وهي تشير إلى حتمية فنائه، وما من مثقال حبة من خردل في هذا الكون الذي خلقه اللّه سبحانه إلا وتشير إلى زواله، وقيام الساعة ثم البعث والنشور لهذه الخلائق فلا إيمان بالبعث والنشور إلا من خلال الإيمان باللّه.. وقل لي: أي شيء في هذا الكون الذي من حولنا والذي نرى منه جزءاً يسيراً من خلال أبصارنا يشير إلى ديمومة الحياة؟ أين مَن قبلنا وما بنوه؟ ألم يصبح خراباً؟ أين أولئك الأقوام الذين عَمَروا حضاراتٍ واسعةً؟ ألم يدفنوا هم وحضاراتهم ولم يبق فيها إلا الذكرى وبعضُ دلائلها، ليعتبر البشر بما وصل إليه الذين من قبلهم؟ ألم يقل اللّه تعالى في محكم كتابه:

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٣٧]

.... وأخيراً نقول: لو أن البشرية اقتنعت أنه لا بعث ولا نشور، فإننا بالمقابل نكون قد اقتنعنا بالفوضوية والعشوائية واللعب بهذا الكون وهذا الخلق، لأن من تمام التنظيم تمامَ الحقائق التي تدل كلها على البعث والنشور، وحتى لا يعيش الإنسان هذه العشوائية والفوضى وأن الكون والخلائق خلقت هكذا تحيا وتموت ولا بعث

ولا نشور ولا جزاء، دلَّهم اللَّه سبحانه في كتابه الكريم إلى أن هذا الكون وهذه الخلائق لم تخلق لعباً ولهواً إنما خلقت لهدف وحق من حكمة مطلقة وعدل مطلق لإله حق خلق بالحق وسيبعث بالحق وسيحاسب بالحق.

يقول تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾.

[سورة الأنبياء، الآيات: ١٦ ـ ١٨]

ويقول تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ١١٥]

ويقول تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾.

[سورة القيامة، الآيات: ٣٦ ـ ٤٠]




الفصل الأول

- مَدخل . . . . كل شيء هالك إلا وجهه .
- وعد اللّه سبحانه بالبعث والنشور .
- الأمثال التي ضربها اللّه سبحانه لنا في القرآن الكريم عن كيفية إحيائه للموتى وبعثهم ونشرهم .
- القاسم المشترك بين إحياء الأرض بعد موتها وإحياء الناس بعد موتهم وبعثهم .
- ما يكون من أحداث بين النفختين نفخة الصعق ونفخة البعث .
- كيف ترسل الأرواح إلى الأجساد؟
- بيان قدرة اللّه سبحانه في نشره وبعثه للخلائق جميعاً .
- جدل البعث والنشور بين الأنبياء وأقوامهم في التاريخ الإنساني .




مَدخل
كل شيء هالك إلا وجهه

قلنا في الجزء الرابع من الكتاب: إن اللَّه سبحانه يميت كل الخلائق من النفخة الأولى في الصور إلا من يستثني اللَّه سبحانه بعلمه. يقول تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٨]

ولقد بيَّنَّا كذلك الآراء حول الذين استثناهم اللَّه سبحانه من الصعق (الموت) عند النفخة الأولى... لكن الآيات القرآنية تؤكد أنه وقبل النفخة الثانية للبعث والنشور يميت اللَّه سبحانه كل أولئك الذين استثناهم من الموت عند النفخة الأولى، ودليل ذلك أن اللَّه سبحانه وتعالى بيَّن لنا في الآيات الكريمة التي تخص يوم القيامة أن كل الخلائق هالك وميت ولا يبقى إلا وجهه الكريم، وما ذلك إلا لتعلم الخلائق جميعاً ومهما كان وضع أحدهم وقربه من اللَّه سبحانه أنه يصيبه ما يصيب الخلائق من الحياة والموت والبعث والنشور.

يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾.

[سورة غافر، الآية: ١٦]

ويقول تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٨٠]

ويقول سبحانه:

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾.

[سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧]

وتؤكد الآية الكريمة من سورة القصص هلاك كل مخلوقات اللّه تعالى دون استثناء لأحد.

يقول تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٨٨]

وفي هذه الآيات الكريمة بيان من اللّه سبحانه أنه غني عن العالمين ملائكته وإنسه وجِنّه وما لا نعلم من خلق اللّه سبحانه.. ولقد أكَّد اللّه سبحانه في أكثرَ من آية كريمة استغناءه عن العالمين جميعاً.

يقول تعالى: ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٦٤]

ويقول تعالى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ٢٦]

ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

[سورة العنكبوت، الآية: ٦]

ويقول أيضاً: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١٣٣]

وكذلك فإن اللّه سبحانه في إهلاكه لكامل الخلق وتحقيق الموت فيهم جميعاً، بيان منه جل جلاله بأنه أحكم الحاكمين وأعدل

العادلين، ففي تعميم الموت يجمع اللَّه كامل العدل الإلٰهي الذي وصف نفسه به.

يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾.

[سورة هود، الآية: ٤٥]

ويقول تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾.

[سورة التين، الآية: ٨]

ويقول سبحانه:

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١٥٥]

نعم لا تبديل لكلماته وهو القائل: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ ﴾.

[سورة القصص، الآية: ٨٨]

.. وأما قوله: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١٣٣]

فإن في معناها الكثير ـ فاللَّه سبحانه يقول: إنه الغني، الغني عن خلقه جميعاً ملائكة وإنسٍ وجنٍّ، ولكنه ذو الرحمة.. فإذا أماتهم جميعاً قبل يوم القيامة، فَمَنْ يكون الشاهد على اللَّه سبحانه في إعادة خلقه وقد ماتوا جميعاً؟ ولم يبق لا شهيد ولا رقيب من ملك ولا رسول؟... ولكن رحمة اللَّه تكفي. ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ ﴾ فمن رحمته يعيد خلقه ويبعثهم ليوم القيامة ليجزي الذين أحسنوا بالحسنى والجنةِ والذين كفروا بجهنمَ خالدين فيها أبداً.

وعد اللَّه سبحانه بالبعث والنشور

لقد وعد اللَّه سبحانه في كتابه العزيز رسله والناس جميعاً بالبعث والنشور والعودة إليه، وأقسم على هذه العودة ثم بيَّن لنا بالحجة والبراهين بعث الناس من قبورهم وعودتهم إلى اللَّه سبحانه لحسابهم وجزائهم، وتعددت الآيات القرآنية الكريمة، وقد عرضها اللَّه سبحانه بالمحاجّة العقلية من خلال هذا العقل الإنساني الذي وهبه اللَّه سبحانه للبشر، والذي يوصلهم إلى أن اللَّه سبحانه حق وأن خلقهم حق وبعثهم حق وحسابهم حق وأن الآخرة حق وأن يوم القيامة لا ريب فيه من خلال قدرة اللَّه سبحانه على الخلق والإعادة.

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤]

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ٩٥]

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾.

[سورة يونس، الآية: ٤]

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾.

[سورة الروم، الآية: ٦٠]

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ﴾.

[سورة التوبة، الآية: ١١١]

... نعم إنه الوعد الحق من اللّه سبحانه، ومن أصدق من اللّه وعداً؟ ومن أعظم من اللّه رحمة؟ ومن أقدر من اللّه على البعث والنشور؟ وهو الخالق وهو الذي يحيي ويميت وبيده الأمر وإليه يرجع الأمر كله، وكم من الآيات الكريمة التي بيَّن اللّه سبحانه لنا فيها أنه يحيي ويميت وليس غيره قادراً على فعل ذلك لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، مهما كَبُر أمره وشأنه وعظم خلقه، فلا يملك أحد سواه الحياة والموت والنشور.

يقول تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٣]

فلا أحد من العباد يملك الموت والبعث والنشور سوى اللّه سبحانه، فهو القادر على هذا وحده دون خلقه أجمعين، وصفة الإحياء والإماتة صفتان إلٰهيتان. وهذه البشرية وعمرها على الأرض عشرات الآلاف من السنين ماذا فعلت بالموت؟ فهل استطاع أحد أن ينفيه عن نفسه أو أن يدفعه؟ وكم حاول الكثير من البشر الاحتفاظ بحياتهم أو تطويلها أو الاحتفاظ بشبابهم فما استطاعوا لذلك سبيلاً.

يقول تعالى: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٦٨]

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ﴾.

[سورة النساء، الآية: ٧٨]

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ .

[سورة العنكبوت، الآية: ٥٧]

واليوم في عصر الحضارة والتكنولوجيا حاول كثير من العلماء إطالة العمر أو دفع الهرم والموت فما استطاعوا لذلك سبيلاً أيضاً. . . ذلك أن اللَّه سبحانه وفي أساس خلقه لم يجعل للهرم ولا للموت دواء يدفعهما أو يؤخرهما. . فخلايا الإنسان مبرمجة من اللَّه سبحانه نشوء وقوة ثم هرم ثم موت لا محالة، ولا سبيل للخلاص أبداً منهما، مهما تطور العلم ووصل إلى أعلى المراتب التي يمكن أن يصل إليها العقل البشري، ذلك أنَّ البشرية تبقى أولاً وأخيراً ضمن الدائرة التي رسمها اللَّه سبحانه لها.

يقول تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء إلا الهرم**»(١).

عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له دواء، علمه من علمه وجهله من جهله إلا السام وهو الموت**»(٢).

ويؤكد اللَّه سبحانه أنه هو الذي يميت، وهو الذي يحيي الموتى في عشرات الآيات القرآنية، وذلك لتطمئن قلوب العباد، واعتبر اللَّه سبحانه الذين يمارون في إحياء الموتى أنهم لفي ضلال بعيد، ولفي ضلال كبير، والذين لا يقدرون للَّه حقه ولا يعتقدون بالبعث والإحياء

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك حديث صحيح. السيوطي في الجامع الصغير.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك. السيوطي في الجامع الصغير.

والنشور أولئك الذين لا يعلمون عن اللَّه شيئاً ولا يقدرون قدرته وعلمه وعظمته، وأنه الخالق الذي يقدر على الخلق ويقدر على الموت ويقدر على الإحياء والبعث للخلائق جميعاً. يقول تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

[سورة الجاثية، الآية: ٢٦]

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ١٥٨]

وفي آية جامعة شاملة يقول تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٨]

ولقد أقسم اللَّه سبحانه على هذه العودة وعلى هذا البعث، وقال عنه: إنه حق وقول فصل مثلما أنكم تتكلمون وتنطقون، فكما أن كلامكم ونطقكم لا ريب فيه كذلك فإن العودة والبعث والنشور حق لا ريب فيه أبداً.

يقول تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾.

[سورة الذاريات، الآية: ٢٣]

ويقول تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

[سورة القيامة، الآيات: ٣٦ ـ ٤٠]

ثم يقسم اللَّه تعالى مؤكداً قوله وينبّه الناس ثم يبيّن لهم عظمته وقدرته ليس في إحياء الميت وبعثه ونشره فحسب، بل في إعادة بنانه كما كان قبل الموت وهي عملية إعجازية في الخلق والإعادة كون الإبهام له بصمة إنسانية منفردة بواسطة خطوطها الحلزونية.

يقول تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ * وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ * بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾.

[سورة القيامة، الآيات: ١ ـ ٤]

وحتى لا يقف الإنسان مستغرباً أو متعجباً كيف تكون إعادة الأموات أحياء بعد فنائهم وبلائهم، وتحولهم إلى عظام نخرة وتراب، بيَّن اللَّه سبحانه لنا أن إعادة البشر إلى الحياة بعد الموت هي عملية أهون عليه من الخلق، وكلا الأمرين على اللَّه سبحانه هيِّن، ولكن حتى تطمئن قلوب الناس ولا تتساءل نفوسهم عن كيفية عودتهم مرة أخرى إلى حياة وقد تحولوا عظاماً وتراباً.

يقول تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

[سورة الروم، الآية: ٢٧]

ثم يتوجه اللَّه سبحانه إلى البشرية بالخطاب العقلي والتوجه القلبي والإثبات الفكري طالباً منهم النظر والبحث والتقصي.

يقول تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٥]

الأمثال التي ضربها اللَّه سبحانه لنا في القرآن الكريم عن كيفية إحيائه للموتى وبعثهم ونشرهم

. . . ضرب اللَّه سبحانه لنا في القرآن الكريم ثلاثة أمثلة على إحيائه الموتى لثلاث حالات، تختلف كل واحدة عن الأخرى، ليبيِّن اللَّه سبحانه لنا أنه لا يعجزه شيء، ومهما كان وضع الموتى الذين يريد إحياءهم . . ولقد ضرب اللَّه سبحانه هذه الأمثلة للناس ليطمئنوا إلى أن اللَّه سبحانه قادر على إحياء الموتى وقادر على إعادتهم ومحاسبتهم ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماوات.

يقول تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

[سورة البقرة، الآية: ١٤٨]

أينما يكون الإنسان بعد موته في ظلمات البر والبحر، أو في مجاهل الأرض وأعماقها، أو في فضاء السماء وغيرها فإن اللَّه قادر على أن يأتي بهم جميعاً.

المثل الأول ـ من سورة الكهف نقتبسه من قصة أصحاب الكهف الذين أنامَهم اللَّه ثلاثمائة وتسع سنين ثم بعثهم وأحياهم.

يقول تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۞ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا

رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾ .

[سورة الكهف، الآيات: ٩ ـ ١٢]

وقال اللّه تعالى من سورة الكهف: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ .

[سورة الكهف، الآية: ١٩]

ثم قال تعالى من سورة الكهف: ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴾ .

[سورة الكهف، الآية: ٢٥]

. . . أهل الكهف مجموعة من الشبان عاشوا في عهد ملك ظالم كافر قبل بعثة سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام بزمن. . . ومن ظلم وكفر الحاكم التجأ هؤلاء الشبان إلى أحد الكهوف في الجبال القريبة من بلادهم، واجتمعوا فيه، وتوجهوا إلى اللّه سبحانه بالدعاء أن يهديهم سواء السبيل، وأن يهيِّئ لهم من أمرهم رشداً، وأن يؤتيهم من رحمته ويلهمهم الصواب في عملهم ورأيهم، واشتكوا إلى اللّه في دعائهم من الحاكم الظالم وكفر الرعية. . . واللّه أعلم بكفرهم وظلمهم، فأراد اللّه سبحانه ومن رحمته وعلمه أن يجعلهم مثلاً للعالمين، فأنامَهم جميعاً في هذا الكهف وهم على حالهم وجلوسهم وفي ثيابهم ومعهم كلبهم الذي افترش الأرض ومد يديه. وأنامهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ثم بعثهم وهم على حالهم ووضعهم الذي كانوا فيه قبل النوم في الكهف. ولذلك عندما تساءلوا عن الوقت الذي استغرقوا كما ظنوا في نومهم قال قائل منهم: يوماً أو

بعض يوم ـ أي ما يشبه حالة النوم العادية التي ينامها الإنسان في يومه. . . والقصة طويلة ومن أراد زيادة التفصيل فعليه بالعودة إلى كتب أئمة التفسير ـ ابن كثير ـ تفسير الفخر الرازي ـ ابن جرير وغيرهم كثير، حيث استفاضوا في الشرح والتفصيل والتفسير. . . المهم هذا مثل ضربه اللَّه لنا كيف بعث من نام بعد ثلاثمِائة سنة وازدادوا تسعاً وحالهم على ما هي عليه حتى ظنوا أنهم ناموا يوماً أو بعض يوم. . معجزة من معجزات اللَّه تعالى علينا الأخذ بها فنزداد إيماناً بالبعث والنشور.

المثل الثاني من سورة البقرة: من قصة عزير الذي أماته اللَّه مائة عام ثم بعثه وأحياه.

يقول تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٩]

قال جمهور السلف رضي اللَّه عنهم: إن هذا الذي مر على قرية هو العزير أحد الصالحين من بني إسرائيل، مر على بلد بيت المقدس بعدما دخلها بختنصر وخرّبها، فرآها العزير وهي خاوية على عروشها أي ساقطة على سقوفها باعتبار أن سقوف البيوت تسقط أولاً ثم تتهدم الجدران وتتساقط عليها أي على السقوف: ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾. قال ذلك استعظاماً لأمر القرية الخربة وتفخيماً وتعجباً من

عظمة قدرة اللَّه تعالى القدير على كل شيء لا من باب الاستبعاد والإنكار، وذلك نظير قول زكريا عليه السلام فيما أخبر اللَّه تعالى عنه لما بشر بالغلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾

[سورة مريم: الآية: ٨]

يعني أن ذلك الأمر عظيم وجدير بأن يتعجب من عظمته وفخامته.

﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ أحياه بعد موته ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾ وهكذا السؤال ورد لإظهار عجز العزير وغيره عن الإحاطة بشؤون اللَّه تعالى وعظيم قدرته ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ وإنما قال ذلك لأنه مات ضحى النهار وبعث بعد المائة قبل الغروب فقال قبل أن ينظر إلى الشمس: يوماً، ثم التفت فرأى أن الشمس لم تغرب بل آثار أنوارها على الأماكن العالية فقال: أو بعض يوم، على طريق الإضراب ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي لم يتغير في هذه المدد الطويلة والسنين العديدة وكان طعامه على ما روي عنباً وتيناً، وشرابه عصيراً أو لبناً. ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ كيف نخرت عظامه، وتفرقت أوصاله، وهكذا أمره اللَّه تعالى أن ينظر أولاً إلى طعامه وشرابه حيث إنه لم يتغير حتى يبيّن له أن الذي حفظ له طعامه وشرابه من التغير والفساد على طول السنين المائة ـ هو الذي حفظه من التغير ومن أن تأكله الأرض وتفسده على السنين العديدة بل أبقى له جسمه بعد موته وحفظه من البلى لأن اللَّه تعالى قادر على كل شيء.

وأمره اللَّه تعالى أن ينظر ثانياً إلى حماره وقد بلي وتفرق وتمزق ليزداد يقيناً بأنه مر عليه مِائةُ سنة، ثم قال تعالى له: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي عبرة ودليلاً على قدرة اللَّه تعالى على إحياء الأموات وبعثهم، وأنه سبحانه قادر أن يحفظ أجساد من أراد حفظهم وأنه

سبحانه قدير على كل شيء ولا يعجزه شيء ثم قال له: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ ﴾ أي عظام الحمار البالي المتفرقة أوصاله وعظامه ﴿ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ أي كيف نرفعها من الأرض ونركبها فوق بعضها ونعيدها كما كانت قبل الموت والتمزق. ﴿ ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ أي نستر العظام باللحم كما نستر الجسد باللباس ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ ﴾ اتضح له اتضاحاً تاماً وعاين كيفية الإحياء ﴿ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وذلك علم رؤية وعِيان فوق ما أنا عليه من اليقين والإيمان.

المثل الثالث: قصة إحياء الطيور على يد الخليل سيدنا إبراهيم على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام وقد ذكرها اللّه تعالى في القرآن الكريم بعد قصة العزيرعليه السلام.

قال اللّه تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٦٠]

اختلفت الأخبار المنقولة عن العلماء السلف رضي اللّه عنهم في سبب سؤال الخليل ـ على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام ـ ربه أن يريه كيفية إحياء الموتى.

فجاء عن الحسن البصري والضحاك وقتادة وغيرهم: أن الخليل عليه الصلاة والسلام سأل ربه ذلك لينتقل من مرتبة علم اليقين إلى عين اليقين.

وقد جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والطبراني والحاكم عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «**ليس الخبر كالمعاينة إن اللّه تعالى أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألواح فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت**».

وروي عن ابن عباس والسدي بن جبير أن المَلَكَ بشر الخليل عليه السلام بأن اللَّه تعالى قد اتخذه خليلاً وأنه يجيب دعوته وأنه يحيي الموتى بدعائه فلذلك سأل اللَّه ما سأل.

وروي عن محمد بن إسحاق أن سبب سؤال الخليل ذلك ـ هو منازعة النمرود إياه في إحياء الموتى حين قال له الخليل: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ ورد على النمرود زعمه أن العفو عن المجرم هو إحياء له، وأن تنفيذ القتل فيه إماتة له، وراح النمرود يتوعد الخليل بالقتل إن لم يحي اللَّه الموتى على يد الخليل، بحيث يشاهد النمرود ذلك، فدعا سيدنا الخليل ربه حينئذ فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ أي ألم تعلم وتؤمن بأني قادر على الإحياء كيف أشاء حتى تسألني عنه؟

أو لم تؤمن بأني قد اتخذتك خليلاً، أو لم تؤمن بأن الجبار النمرود لا يستطيع أن يقتلك، ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ أي أنا مؤمن بذلك إيماناً لا شك فيه ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ بانضمام رؤية العِيان إلى الإيمان والإيقان بأنك القادر على ذلك، وليطمئن قلبي بالخُلَّة التي تفضلت بها علي وأكرمتني بها وبلوازمها من إجابة الدعاء وما وراء ذلك. أو ليطمئن قلبي بأن الجبار لا يقتلني بعدما يشاهد كيفية إحيائك للموتى على يديَّ.

وعلى كل فسؤال الخليل لم يكن عن شك أصلاً بدليل قوله ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ﴾ أي أنا مؤمن ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾.

وقد قطع النبي ﷺ دابر الوهم الذي يتلاعب في بعض الخواطر فيخيل إليها أن الخليل عليه السلام قد اعتراه بعض الشك، فلذلك سأل ما سأل فإن نبيّنا ﷺ قطع دابر الوهم الباطل بقوله على سبيل

التواضع والتبرئة كل البراءة، فقال كما في الصحيحين عن أبي هريرة: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم عليه السلام إذ قال ربِّ أرني كيف تحيي الموتى**»، ويعني بذلك ﷺ أنا لم نشك أصلاً فلم يشكّ إبراهيم الخليل أصلاً فكأنه ﷺ يقول: إن شكَّ إبراهيم فنحن أحق بالشك ولكنا نحن لم نشكّ فإبراهيم لم يشكّ صلوات اللّه تعالى على حبيبه وخليله وآلهما أجمعين(١).

(١) كتاب الإيمان في عوالم الآخرة ومواقفها للشيخ عبد الله سراج الدين.

القاسم المشترك بين إحياء الأرض بعد موتها وإحياء الناس بعد موتهم وبعثهم

اللافت للنظر في كثير من الآيات القرآنية.. أن اللَّه سبحانه كلما أراد أن يتحدث عن إحياء الموتى وبعثهم يوم القيامة... يضرب لنا مثلاً في إحياء الأرض بعد موتها... أي عندما يمتنع الماء عن أي أرض فإنها مع الوقت تيبس ثم تتشقق ثم تموت فلا يكون فيها حياة أبداً إذا لم ترتوِ من الماء... ومهما مضى من زمن على أي أرض بعد موتها ولو كان مئات السنين، فإذا ما أنزل اللَّه سبحانه عليها ماء اهتزت وربت وعاشت بعد موت طويل وأنبتت من كل زوج بهيج.

... وقد جعل اللَّه سبحانه من آياته في الدنيا إحياء الأرض بعد موتها، وما ذكر اللَّه آية يبيِّن فيها إحياء الأرض بعد موتها إلا توجه في نهاية الآية الكريمة إلى البشر يخاطبهم... إن في ذلك لآية لقوم يعقلون.. لقوم يتذكرون.. لقوم يعلمون.. لقوم يسمعون.. أو بيَّنَ معجزة خروجهم وبعثهم.. تنبيهات شتى حتى يعقل الناس ويدركوا أن اللَّه قادر على كل شيء.

يقول اللَّه تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٦٤]

﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ .

[سورة النحل، الآية: ٦٥]

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

[سورة العنكبوت، الآية: ٦٣]

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ .

[سورة الروم، الآية: ١٩]

﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

[سورة الروم، الآية: ٥٠]

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ .

[سورة فاطر، الآية: ٩]

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

[سورة الأعراف، الآية: ٥٧]

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ * وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ * رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ .

[سورة ق، الآيات: ٩ ـ ١١]

وكثيرة هي الآيات القرآنية التي يبيِّن اللّه سبحانه فيها لعباده من

البشر أن إحياءهم وبعثهم ونشرهم مثلُ إحياء الأرض بعد موتها، ولا فرق بين هذا الأمر (إحياء الأرض) و(إحيائكم) كما في قوله تعالى بعد أن يتحدث عن الماء الذي ينزله من السماء فيحيي به الأرض بعد موتها: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾، ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾، ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ والمعنى لا فرق مطلقاً، فلم هذا التأكيد وهذه الأمثلة من اللّه سبحانه؟ وما علاقة البشر وأجسادهم التي هي من لحم وعظم بإحياء الأرض التي هي من تراب؟

لماذا لم يضرب اللّه سبحانه لنا مثلاً عن إحيائنا بولادة نجم في السماء أو ولادة كوكب أو قمر جديد، أو بالمرض ثم الشفاء، إلخ من الاحتمالات نقول:

١ ـ إن الإيمان باللّه وبآياته فيما مضى من تاريخنا كان قوياً جداً، حتى لو لم يدرك الناس معنى تشبيه إحياء الموتى بإحياء الأرض، ذلك أن القرآن الكريم فيه مئات الآيات القرآنية الكريمة التي فيها إشارات (علمية)، والتي كان من الصعب فهمها الفَهم العلمي الصحيح، لعدم توفر العلوم الجيولوجية والفلكية والفيزيائية في تلك الأوقات الطويلة من تاريخ الإسلام، ولكن كان إيمانهم الراسخ باللّه سبحانه وبأنه قادر على كل شيء يكفيهم لكل ما أنزله اللّه سبحانه من آيات القرآن الكريم... وكذلك نحن بفضل اللّه سبحانه فإيماننا باللّه أقوى وأعظم من كل شيء، ولكن اللّه سبحانه أراد ومِن وعدٍ منه لعباده أنه سيريهم آياته في الآفاق وفي أنفسهم، يقول تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾.

[سورة فصلت، الآية: ٥٣]

وما رأينا من الآيات في هذا العصر مما لا يحصى فنحمد اللّه

رب العالمين عليه. ومنها بفضل اللّه تعالى بعد أن وصل علم التشريح الجسدي في الإنسان إلى درجة عالية من المعرفة وتحليل الإنسان، وأنه يتكون من الماء ومجموعة من المعادن كالحديد والمغنيسيوم والبوتاسيوم والفوسفور والأملاح إلخ بنسب مختلفة، وكذلك تبيَّن لعلماء الجيولوجيا وعلم الأرض أن الأرض بترابها تتكون من تلك المعادن التي ذكرت، والموجودة في جسم الإنسان... وهذا العلم اليوم لم يعد خافياً على أحد، فقد أصبح من العلوم البسيطة التي تدرس في المدارس وفي المراحل الأولى من التعليم.

٢ ـ.... لذلك وبما أن الأرض في تكوينها الجيولوجي تشبه إلى حد كبير تكوين الإنسان البيولوجي، لذلك يتقاربان بالموت والإحياء فالذي يحيي الأرض بعد موتها هو الذي يحيي الإنسان بعد موته ولكن الكيفية بعلم اللّه تعالى.

... كمّ هائل من الآيات الكريمة التي تحدث اللّه سبحانه فيها أن الإنسان خلق من تراب، وأن آدم أبا البشر عليه السلام خلق من تراب، وأن الأنبياء والرسل خلقوا أيضاً من تراب، وأن البشر كلهم خلقوا من تراب.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٥٩]

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٍ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٥]

﴿ وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾.

[سورة الروم، الآية: ٢٠]

وغيرها من الآيات التي تجمع على أن خلْق الإنسان من

تراب.. ولذلك عقدت المقارنة بين إحياء الأرض وهي من تراب وإحياء الإنسان الذي هو من تراب.

٣ ـ وفي أول سورة الحج من الآية ١ ـ ٥ صورة حركية رائعة، وكأنك تعيش في أجواء الساعة وقيامها، وتُعقد المقارنات وتوضع الأسباب وتتحقق النتائج ـ ثم يقدم اللَّه لنا وبالعقل وبالمنطق الإنساني صحة الخلق وعملية تدرجه، لينفي الشك عن قلوب عباده في قضية العودة إلى الحياة ثم يختم اللَّه الآيات الخمس، بأن الأرض تكون هامدة فإذا أنزل اللَّه سبحانه الماء عليها اهتزت وربت وعاشت وأنبتت من كل زوج بهيج، وكذلك أيها الناس خلقكم وكذلك بعثكم.

يقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ * وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾.

[سورة الحج، الآيات: ١ ـ ٥]

وإذا أخذنا من الآيات الخمس قوله تعالى في مسألة إحياء الأرض بعد موتها: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾.

هامدة: ميتة يابسة قاحلة.

اهتزت: تحركت بعد جمود وكمود.

ربت: ازدادت وانتفخت.

في هذه الآية الكريمة نقلنا اللَّه سبحانه إلى التجربة العملية حتى لا يكون الاكتفاء بالأمر نظرياً.

يقول الشيخ الدكتور عبد المجيد الزنداني في تفسير هذه الآية الكريمة علمياً وجيولوجياً:

إن الأرض من تراب، والتراب عبارة عن ذرات وحبات متناهية في الصغر، لا تُرى الواحدة منها منفصلة إلا عن طريق جهاز التكبير مئات المرات تماماً كالإنسان المكون من خلايا تعد بآلاف المليارات والخلية الواحدة لا يمكن أن ترى إلا بواسطة جهاز التكبير كذرة التراب.

يقول الدكتور عبد المجيد: إن الأرض وترابها في حال انقطاع الماء عنها تنزوي ذراتها وحباتها، وتتفرق أشلاؤها وتتفكك عن بعضها، فإذا ما وضعنا جهاز التكبير على ذرات من الأرض الميتة يتبيَّن لنا هذا الأمر، وقد تمَّ عرض هذه الحالة في محاضرة له على التلفاز وبيَّن كيف تكون حالة ذرات التراب في حال موت الأرض والتراب... فإذا ما أنزل عليها الماء يقول: تهتز وتتحرك بسرعة وبتفاعل مشترك بين كل الذرات كأنها فرحة بعودة الحياة إليها عن طريق الماء ﴿ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ وبعد هذه الحركة تخرج من انزوائها وتقوقعها وهزلانها فتنتفخ وتزداد وتتآلف وتعود إليها الحياة مرة أخرى. يقول الشيخ الدكتور... إن ما يحدث في الأرض والتراب في حال نزول الماء عليها هو تماماً كما قال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٥]

والسؤال... من علَّم سيدنا محمداً ﷺ كل هذا؟ وهل كان عالماً في علم الجيولوجيا؟ وكيف عرف الإنسان أن خواص التربة وخواص الإنسان شيء واحد لوجود المعادن في كل منهما؟ إنه قوله تعالى الذي خلق وهو أعلم بما خلق ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.

٤ ـ إن اللّه سبحانه إذا أراد أن يحيي الموتى يوم القيامة ينزل مطراً كالطَّل على الأرض بين النفختين نفخة الصعق ونفخة الإحياء، وهذا سيأتي بيانه فيما بعد، وسنضطر لذكره لتحقيق الموقف وبيان دلائل إحياء الموتى.

يقول تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٨]

فماذا يحدث بين النفختين؟ لنستمع إلى رسول اللّه ﷺ.

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون**»، قيل: أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قيل: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قيل: أربعون سنة؟ قال: أبيت. «**ثم ينزل اللّه من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل**»[1].

... فالحديث يشير ـ وهذا ما سيأتي بيانه مفصلاً في الفِقرة التالية وأن إحياء الموتى يوم القيامة ونمو أجسادهم مرة أخرى إنما يكون من إنزال الماء من السماء تماماً كما يحيي اللّه الأرض بعد موتها.

رواه البخاري ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة رقم الحديث ٢٩٥٥.

ما يكون من أحداث بين النفختين نفخة الصعق ونفخة البعث

يقول تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾.
[سورة الزمر، الآية: ٦٨]

لقد تحدثنا عن نفخة الصعق (الموت) في الجزء الرابع (قيام الساعة وأهوالها) باستفاضة، وبينّا ما يكون من أحداث جسام ودمار لكل هذا الكون سمواته وأرضه وجباله وبحاره وأنهاره... ولكن هل من زمن يفصل ما بين النفختين نفخة الصعق ونفخة البعث أم أن النفختين متعاقبتان لا زمن بينهما؟

الذي دلت عليه الأحاديث الشريفة أن هناك زمناً يفصل ما بين النفختين وأن هناك أموراً تحدث في ذلك الوقت الواقع بين النفختين.

... في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم أن هناك زمناً يقع ما بين النفختين يطول أربعين سنة أو أربعين شهراً أو أربعين يوماً حيث إن راوي الحديث أبا هريرة رضي اللّه عنه نسي عند ذكره للحديث ما قاله رسول اللّه ﷺ عن الأربعين.. هو تذكر أن رسول اللّه ﷺ قال: أربعون... ولكن أربعون سنة، أو أربعون شهراً، أو أربعون يوماً لم يتذكر... فخاف أن يكذب على رسول اللّه ﷺ لذلك كلما سئل قال: أبيت.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون**» قالوا لأبي هريرة ـ أربعون يوماً؟ قال: أبيت، (أي لا أجزم بأنها أربعون يوماً) قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، «**ثم ينزل اللَّه من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل**». قال ﷺ: «**وليس شيء من الإنسان إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عَجْبُ الذَّنبِ ومنه يركب الخلق يوم القيامة**»[1].

فهذا حديث صحيح متفق عليه.. يثبت أن هنالك زمناً واقعاً بين النفختين وإن لم يبيِّن أبو هريرة حقيقة الزمن لشكه وخوفه من الوقوع بالخطأ فلم يجزم.. ولكن جاء في رواية لأبي داود: إنها أربعون سنة وهي الفترة الواقعة بين النفختين.

في هذه الأثناء يلف الأرض حالة من السكون المطبِق بعد أن دمر فيها كل شيء، وذهبت معالمها وجبالها وأنهارها وبحارها وكورت شمسها وجمعت هي والقمر فيكونان كما سيأتي بيانه كثورين عقيرين منزويين ينتظران أمر ربهما.. وهذه العمارات الشاهقات قد دمرت، وذهب كل ما بناه الإنسان من طرقات وحدائق وما صنعه من آلات.

... ثم يأمر اللَّه سبحانه السماء فتمطر على الأرض مطراً، ولكن ليس كمطر الدنيا إنما مطر لزج كالطَّل أو كالظِّل يشبه مني الرجال لزوجة، لاحتوائه عناصر بيولوجية تساعد في إنبات أجساد الناس وقد بيَّن رسول اللَّه ﷺ نوعية هذا المطر اللزج.

ـ عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «**ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا**

---

(1) حديث متفق عليه.

أصغى ليتاً، ورفع ليتاً[١] فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق، ويصعق الناس، ثم يرسل اللّه ـ أو قال: ينزل اللّه مطراً كأنه الطَّل أو الظِّل فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون»[٢].

وللسائل أن يسأل ولم هذا المطر؟ واللّه سبحانه قادر على أن يحيي عباده بأمر منه لأنه إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون.. والجواب عن هذا التساؤل إن وقع.. إن اللّه سبحانه خلق كل شيء من أعظمه وأكبره إلى أصغره وأدناه بنظام متكامل، هيأ له الأسباب الموجبة للخلق ثم قال له: كن فيكون، ذلك أن اللّه سبحانه بنى كل خلقه وكونه وَفق نظام وقوانينَ ثابتةٍ علمية من علمه. فاللّه سبحانه من أسمائه الحسنى العليم، والقدير، فمِن علمه سبّب الأسباب ومن قدرته خلق الأشياء بعد وضعها في ميزان منضبط... فإذا وقف الإنسان في أي مكان من هذه الأرض، ونظر إلى ما حوله وما تحته وما فوقه يجد أن كل شيء خلقه اللّه سبحانه له نظام وقانون، لم يُخلق عشوائياً أو هكذا خلق، بل خلق بعلم اللّه وتقدير اللّه لذلك سألنا اللّه سبحانه أن نسير في الأرض وننظر كيف بدأ الخلق.

قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾.

[سورة العنكبوت، الآية: ٢٠]

والخطاب للعقلاء حتى يدركوا عظمة اللّه سبحانه ونظامه وبناء السموات.

يقول تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن

---

(١) الليت: صفحة العنق. وأصغى ليسمع.

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٢٥٨) رقم الحديث ٢٩٤٠.

تَفَٰوُتٍۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۞ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ﴾.

[سورة الملك، الآيتان: ٣، ٤]

. . . فاللَّه سبحانه يقول: إنه خلق سبع سموات طباقاً لا يوجد بينها اختلاف وعدم تناسب، فإذا نظرت إليها لا تجد في بنائها خللاً ولا شقوقاً ولا تصدعاً، حتى لو أعدت النظر مراراً فسينقلب البصر إليك خاسئاً لأنك لن تجد أي خلل في البناء والنظام الإلٰهي.

هكذا خلق اللَّه سبحانه وهكذا بنى الكون.. فاللَّه سبحانه خلق الإنسان وفق نظام دقيق جداً، قدمنا عن ذلك في سورة الحج، وكيف أنه خلق الإنسان من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة... وهكذا لتكون الإعادة وفق نظام دقيق من إلٰه عليم ﴿ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴾ بذات النظام والعلم.. فهذا المطر الذي يستمر نزولهُ أربعين عاماً بين النفختين، هو لتكوين الأجساد مرة أخرى التي أصابها البلى والفناء وتحولت إلى تراب.

ويقع السؤال مرة أخرى.. على من ينزل المطر؟ وقد بليت الأجساد وتحولت إلى تراب.. فما فائدته؟ وعلى من ينزل؟ ولم ينزل؟ وللجواب عن هذا نقرأ حديث رسول اللَّه ﷺ ثم نعمِد إلى التحليل والنظر ومشاركة العلم اليوم في زمن أصبحت فيه التكنولوجيا تمثل كل جوانبه.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون**» قالوا لأبي هريرة ـ أربعون يوماً؟ قال: أبيت، (أي لا أجزم بأنها أربعون يوماً) قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت «**ثم ينزل اللَّه من السماء ماءً فينبتون كما ينبت**

البقل». قال ﷺ: «**وليس شيء من الإنسان إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجبُ الذَّنَبِ ومنه يركب الخلق يوم القيامة**»(١).

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً منه يركب الخلق يوم القيامة**». قالوا: أي عظم هو يا رسول اللَّه؟ قال: «**عَجْبُ الذَّنَبِ**»(٢).

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب**»(٣).

... قال الإمام النووي في تفسير عَجْب الذَنَب: هو العظم اللطيف الذي هو في أسفل الصُلب وهو رأس العصص، ويقال له عجم بالميم [وهو أول ما يخلق من الأرض في ابن آدم] وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه.

... في هذه الأحاديث الشريفة الثلاثة بيان لكيفية إعادة اللَّه تعالى الخلائق بعد موتها وبعثها وإخراجها من قبورها...

في هذا المقام أشار رسول اللَّه ﷺ في أحاديثه الشريفة إلى ما يكون من الأمور والأحداث في الفترة الماضية والواقعة ما بين نفخة الصعق الأولى ونفخة البعث الثانية. وهذا غيب لا يمكن لأي تفسيرات علمية مهما وصلت من الرقي والتقدم أن تنظر في هذا الأمر وتقدم له تحليلاً أو دراسة.

... ولو استخدموا أرقى أجهزة الكمبيوتر لأخذ جميع الاحتمالات المتوقعة، فهذا علم تتوقف حدوده عند اللَّه سبحانه وتعالى.

---

(١) حديث متفق عليه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه.

(٣) رواه مالك وأبو داود والنسائي.

وما أخبرنا به رسول اللَّه ﷺ عن ما يكون بين النفختين، هو علم من عند اللَّه ألهمه اللَّه إياه أو علمه إياه عن طريق جبريل عليه السلام، وهذه رحمة من اللَّه سبحانه وتعالى. وقد أخفى اللَّه عنا تأريخ الأحداث ولكنه لم يخف عنا تفصيل وبيان الأحداث من خلال كتابه الكريم أو على لسان نبيه محمد ﷺ لنكون على علم، ولتكون الأحداث وتفاصيلها سبباً في قوة إيماننا ودفعنا للعودة إلى طريق اللَّه سبحانه، وبذلك يكون اللَّه أنذر خلقه لما سيحدث ويَكون.

إن في هذا الحديث إيجازاً، ولكن يحمل في طياته تفاسير كثيرة، وخاصة ونحن في عصر تقدم فيه العلم تقدماً كبيراً نستطيع أن نستفيد منه في تفسير هذا الحديث النبوي الشريف.

فما معنى أن كل شيء يفنى من ابن آدم الذي يصبح بعد وفاته تراباً وعظاماً إلا هذا الأثر، وهو عجب الذنب والذنب هي عظمة في مؤخرة ابن آدم تسمى العصعص هذه العظمة تفنى أيضاً ويبقى (لبها) الذي هو عجب الذنب.

وكما أن الإنسان بقليل علمه الذي أتاه اللَّه إياه استطاع أن يخترع شيئاً أسماه مكروفيلم لا يتجاوز طوله سنتيمترات، استطاع أن يختزن به معلومات تمتد إلى مئات الأعوام وآلاف الأحداث بدلاً من شريط يبلغ طوله مئات الكيلومترات أو في اختراعه جهاز الكمبيوتر الذي لا يتجاوز طوله سبعين سنتيمتراً أن يختزن به كمية هائلة من المعلومات.

أفلا يكون في هذا العَجْب الذي يبلغ حجمه حجم حبة العَدَس كلُّ صفات هذا الإنسان وسره، وهي مختزنة ومضغوطة بهذا الحجم؟

ثم انظر إلى هذه العلاقة الوطيدة بين نزول المطر الذي يشبه

الطَّل أو مني الرجال، ويكون لزجاً مغذياً وبين الإحياء بواسطته، ولِمَ ينزل اللَّه هذا المطر؟ وعلى من ينزل هذا المطر؟ وما فائدة نزوله وقد أفنى اللَّه خلقه جميعاً؟

إذاً هذا المطر يكون من أجل إنبات هذه الأجساد، ولكن هل تنبت الأجساد من هذا المطر وليس له أي أثر؟ فهذا يؤكد وجود أثر باق من الإنسان الفاني هو عجب الذنب الذي يشبه حبه العدس أو أصغر منها أو كحبة الخردل مضغوطة ومكثفة ببرنامج إلٰهي، فيه سر الإنسان نفسه وتكويناته من خلايا وصبغيات وعلامات وإشارات فكل إنسان له شيفرة خاصة وعلامة خاصة وبنان متفرد، فالجسد ومكوناته له تركيب خاص ينفرد عن أي إنسان آخر منذ أن خلق اللَّه آدم وحتى يوم القيامة.

والدليل على ذلك مريض الكلى فإن جسده يرفض أي كلية من أي إنسان آخر حتى لو تتطابقت أنسجة جسده وكليته مع جسد آخر فإن التطابق المطلق ١٠٠٪ غير موجود على الإطلاق، وأي تبادل (كلية) من جسد إلى آخر يجب أن يعيش صاحبها رغم كل هذا التطور العلمي على المنشطات والمثبتات لجهاز المناعة، حتى لا يُرفض الغريب من الجسد مهما كان نوعه.

إذاً حينما يفنى الإنسان وتبلى عظامه ويصبح تراباً، يبقى هذا العجب من الذنب والذي لا يبلغ حبة العدس حجماً ووزناً، ولا يمكن لأحد أن يراه لاختلاطه بالتراب ولكن اللَّه تعالى يعلم مقره ومستودعه، وحينما ينزل اللَّه هذا المطر بين النفختين والذي هو كالطَّل لزوجة يدخل بخاصيته التي وضعها اللَّه فيه ثنايا التراب الأرضي، وربما إلى أعماق سحيقة، ولهذا فإن النزول يكون لأربعين

يوماً أو شهراً أو سنة حتى يتمكن من الأرض كلها، ويصل إلى أي أثر للإنسان ولو دفن في باطن الأرض.

قال اللَّه تعالى: ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٤٨]

وبعد اكتمال التحام المطر بعجب الذنب تنبت الأجساد كما ينبت البقل، فيكون الجسد بذات تركيبته الدنيوية وبذات الأحاسيس والشعور بتلك النفس التي كانت في الدنيا، وذلك من اكتمال العدل الإلهي، فاللَّه هو الحكم والعدل فالمفروض أن يكون الحساب يوم القيامة على ذات الأعضاء وذات الأحاسيس والشعور، فالإنسان ذاته يعود كما كان في الدنيا بكامل مكوناته، والتغيير الذي يحدث يوم القيامة بالإنسان ليس تغيير مكونات الجسد وأحاسيسه السابقة، إنما يزيد اللَّه في طول الجسد وقوته ليتناسب مع النعيم في الجنة أو عذاب النار، وتزداد قوة البصر ليستطيع الإنسان أن يرى ما لم يستطع أن يراه في الدنيا، لأن مؤهلاتهِ الجسديةَ البيولوجية في الدنيا لا تؤهله لرؤية ما لم يكن يراه.

قال اللَّه تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾.

[سورة النمل، الآية: ٩٣]

وقال اللَّه تعالى: ﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٦١، ٦٢]

وقال اللَّه تعالى: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾.

[سورة ق، الآيتان: ٢١، ٢٢]

وحينما تكتمل الأجساد في الأرض إنباتاً وتصبح جاهزة

لاستقبال الأرواح، يأمر اللَّه سبحانه وتعالى إسرافيل بعد أن يحييه، أن يلتقم الصور ثم ينفخ فيه مرة أخرى وهي نفخة بعث الأجساد المتكاملة الجاهزة في تلك اللحظة.

وهذه الحالة تشبه حالة سيدنا آدم عليه السلام عندما خلقه اللَّه وقبل أن يرسل الروح لتدخل جسده، وحينما نفخ اللَّه فيه الروح أصبح بشراً متكاملاً تدب فيه الحياة.

كيف ترسل الأرواح إلى الأجساد؟

حينما يحيي اللَّه تعالى إسرافيل عليه السلام ويأمره أن يلتقم الصور، يضع اللَّه سبحانه جميع الأرواح الموجودة في علم اللَّه في هذا الصور، وحينما ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور ترسل الأرواح بما يشبه لمح البصر، وكل روح تدخل في جسد صاحبها، ولا يمكن لأي روح أن تخطئ جسدها، وذلك منطقي وعقلي فإن الروح لها شيفرة خاصة مبرمجة، والجسد له ذات الشيفرة المبرمجة ولا يمكن أن يتم التحام خاطئ، فالجسد يرفض دخول أي روح أخرى لأنها لا تتوافق مع تركيبه ونسجه، فليس في الكون كله روح تناسب جسدي إلا روحي التي كانت معي في حياتي الدنيا، وهنا تكمن قدرة اللَّه تعالى التي لا يمكن لعقولنا أن تحيط بها أو ببعض منها إلا ما شاء اللَّه تعالى.

وعملية الالتحام بين الروح والجسد عملية تخرق قانون الزمن ويتضاءل معها الزمن حتى يكون صفراً.

قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾.

[سورة القمر، الآية: ٥٠]

والدليل على انقهار عامل الزمن قوله تعالى في كتابه الكريم.

قال اللَّه تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾.

[سورة الزمَر، الآية: ٦٨]

فلا نجد في هذه الآية الكريمة أي وجود لعامل الزمن، فلحظة

النفخ لحظة القيام والنشور، وأول كلمة تقولها البشرية حينما ترى آيات اللَّه حقيقة أمام أعينها، حيث لم تعد غيباً ولم تعد إنذاراً إنما هي حقيقة جلية للجميع يحسونها بكل أحاسيسهم ـ هي كلمة الحسرة والندم والخوف (يا ويلنا).

قال اللَّه تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۞ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.

[سورة يس، الآيتان: ٥١، ٥٢]

وربما يدخل هذا التساؤل عموم الناس في البداية لأن منظر الحشر لمليارات البشر دفعة واحدة يخرجون من أجداثهم عراة حفاة، لا يُميَّز فيه بين كبير وصغير ولا عبد ولا أمير، ولكن يثبت اللَّه الذين آمنوا في البداية ويحقق لهم ما وعدهم من الوعد الحق.

قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ١٠٣]

وحينما تنتهي لحظة المفاجأة المذهلة، يعود كل إنسان إلى ذكرى من يكون هو؟ ثم ما كان عليه.

قال اللَّه تعالى: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ﴾.

[سورة النازعات، الآية: ٣٥]

فاللحظات الأولى ذهول مطلق للجميع، ثم تظهر حقائق النفوس من خلال التذكر السريع، فيعود المؤمن إلى نفسه سريعاً، ويتذكر العلاقة الطيبة بينه وبين ربه في الدنيا، وأما الذين نسُوا اللَّه وباعوا دينهم بدنياهم وآثروا الحياة الدنيا على الآخرة وتجبروا على اللَّه واستكبروا في أنفسهم عن الإيمان باللَّه وعبادته فهؤلاء هم الذين

قال فيهم اللَّه تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۞ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾.

[سورة إبراهيم، الآيتان: ٤٢، ٤٣]

وتكون الذكرى لأولئك الذين كفروا باللَّه مؤلمة ألماً شديداً فتراهم يقولون كما قال اللَّه تعالى حاكياً عنهم: ﴿فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٢٧]

والآية تعبر عن حالة هؤلاء تعبيراً يؤكد أن الندم والحسرة يكونان في أعماقهم ولات ساعة خلاص، فما هم فاعلون ولو افتدَوا بملء الأرض ذهباً فلن يحميهم ويعصمهم من غضب اللَّه سبحانه، وهم حينما يرون بداية الحقيقة أمامهم، تصعقهم الآلام ويتمنون العودة إلى قبورهم ونومهم، ولا يفيقون أبداً، فإنهم يعلمون حق العلم ما ينتظرهم من العذاب والآلام والذل والمهانة لأن اللَّه توعدهم بالعذاب المهين، وهو أشد أنواع العذاب إيلاماً، وأما العصاة وعصاة أمة محمد ﷺ فتختلف آلامهم وعذابهم النفسي في هذه اللحظة عن المشركين والكافرين، فتكون آلامهم منصبة في هيئة الندم العميق على ما فعلوا في حياتهم من ألوان المعاصي والفجور، ومنهم مَن يعتصره الألم اعتصاراً لعدم ثباته في الدنيا على طاعة ربه سبحانه وتكاسله عن أداء الكثير من حق اللَّه وحق العباد.

قال اللَّه تعالى: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۞ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۞ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾.

[سورة النازعات: الآيات: ٣٥ ـ ٤١]

والسرعة في الحشر تفوق التصور البشري، فجمع رفات عشرات المليارات من البشر من بواطن البحار والجبال والوديان والصحراء في لحظات أمر إلٰهي، فوق مستوى العقل البشري وهذا في علم اللَّه.

قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

فعلم الحياة الدنيا الميسر البسيط من أجل معيشة البشر انتهى وذهب، وجاء علم اللَّه الذي وعد عباده أنه سيريهم آياته ومعجزاته.

قال اللَّه تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾.

[سورة النمل، الآية: ٩٣]

ألم يقل بعض البشر كما قال تعالى على لسانهم:

قال اللَّه تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾.

[سورة الواقعة، الآية: ٤٧]

هذه الآية الكريمة لسان حال الكافرين والفاسقين.

ثم أجابهم اللَّه سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٤٩، ٥٠]

فهذا علم أنكروه، وأنكروا قدرة اللَّه فيه، والآن وقد انتهت أسباب الدنيا وجاءت عجائب الآخرة فسيرون من قدرة اللَّه ما يرون، والندم واقع على من أنكروا وجحدوا قدرة اللَّه، وقد رأوا قدرته من خلال كونه في حياتهم الدنيا ورأوا السماء وما فيها، والأرض وما

عليها وكلها دلالات تشير إلى وجود اللّٰه وقدرته، فهل يعقل أن تبنى هذه السماء ومليارات المليارات من النجوم التي تسبح فيها بهذا النظام وهذه الدقة دون قدرة إلٰه خالق.

قال اللّٰه تعالى: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٩١]

وحينما استغربوا في دنياهم كيف يعودون مرة أخرى بعد أن يكونوا تراباً وعظاماً! أعطاهم اللّٰه ما هو أقوى وأشد.

قال اللّٰه تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ * بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾.

[سورة القيامة، الآيتان: ٣، ٤].

ومعنى الآية أن اللّٰه (وبعد أن تكونوا تراباً وعظاماً) قادر على أن يعيدكم مرة أخرى بذات البنان الذي كنتم عليه، أي بذات البصمات التي كنتم تميّزون بها بعضكم عن بعض في الحياة الدنيا، وهي بحد ذاتها في الدنيا معجزة الخلق البشري، فلا تتساوى بصمات إنسان مع آخر منذ أن خلق اللّٰه آدم وحتى آخر مخلوق قبل يوم القيامة، وشكل البصمات على اليد تتراءى للإنسان أنها واحدة ولكن هي بالفعل رسومات إلٰهية مختلفة تميّز أي إنسان عن إنسان آخر وحتى يوم القيامة.

•

بيان قدرة اللّه سبحانه في نشره وبعثه للخلائق جميعاً

. . . كثيرة هي الآيات القرآنية الكريمة التي تحدث فيها اللّه سبحانه عن بعث العباد من قبورهم أو من أي مكان دفنوا فيه، ولو كان في أعماق باطن الأرض والبحار ورؤوس الجبال أو في الوديان السحيقة أو في طبقات الجو أو السماء، فالآية واضحة تبيِّن قدرة اللّه سبحانه على جمع الخلائق والبعث والنشور.

يقول تعالى: ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ١٤٨]

فلا فوت ولا هرب لأحد، ولا يملك أحد لنفسه نجاة أو ملجأ، ولا منجى ولا ملجأ منه إلا إليه وما كان ربك نسياً.

فكل ما في هذا الكون مُلكه، وكل ما خلق مما علمناه وما لم نعلم ملكُه وهو تحت علمه وقدرته وإرادته. . . فأين نذهب. . فأي مكان نذهب إليه ملكه.

قال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٢٦]

وقال اللّه سبحانه على لسان الجن ما تقوله الجن بعد أن أدركوا

أنهم لن يعجزوا اللّه سبحانه في أرضه ولن يعجزوه هرباً، على الرغم مما تملكه الجن والشياطين من قُوى خارقة وقدرة على الطيران، حتى إنهم كانوا يصعدون إلى السماء الدنيا فيسّمعون إلى الملأ الأعلى.

يقول تعالى على لسان الجن: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴾.

[سورة الجن، الآية: ١٢]

ولقد بيَّن اللّه سبحانه لنا في الآيات من آخر سورة مريم بعد أن تحدث عن الكافرين الذين قالوا: إن اللّه اتخذ ولداً، إن هذا إلا دعاء الذي يدعيه أهل الشرك والكفر تكاد السموات تتفطر منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً، ثم أوضح اللّه سبحانه أنه لا إلٰه سواه وأن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً وفرداً لا ينسى أحداً منهم أبداً لأنه أحصاهم وعدهم عداً وما كان ربك نسياً.

يقول تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا * لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا * تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا * وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا * لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾.

[سورة مريم، الآيات: ٨٨ ـ ٩٥]

اقرأ هذه الآيات العظيمة وأعد قراءتها مرات، تدركْ عظيم معانيها وكلماتها... وعظيم الأمر وهولَ القول فيمن قال اتخذ الرحمن ولداً أو كان للرحمن ولد... هذا الإلٰه العظيم لا ينبغي أن يتخذ ولداً ولا أن يكون له ولد، وليس في هذا الكون كله على عظيم اتساعه إلا حقيقة لا إلٰه إلا اللّه، عليها قامت السموات السبع والأرض ومنها كانت الجنة والنار، فلا حقيقة في كل هذا الكون إلا حقيقة لا

إلٰه إلا اللَّه.. وكل شيء مخلوق بقدرة اللَّه سبحانه يعلم بالفطرة حقيقة وحدانيته وحقيقة لا إلٰه إلا اللَّه حتى السموات والأرض والجبال ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ۞ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴾.

ثم يبيّن اللَّه سبحانه أن كل من في السموات والأرض من إنس وجن ومن مَلك عظيم مقرب، حتى لو كان جبريل وميكال وإسرافيل وعَزرائيل وحملة العرش إلا سيأتي الرحمن فرداً يوم القيامة لا حول له ولا قوة له إلا حول اللَّه وقوته، كل يأتيه داخراً راجياً عفوه ورحمته ومهما عظمت هيئته وخِلقته ولو بلغ حجمه كما بين السماء والأرض فإنه يأتي يوم القيامة مطأطأ الرأس خاشعاً لا يرجو إلا رحمة اللَّه وكرمه وعفوه...

يقول رسول اللَّه ﷺ عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه تعالى أذن لي أن أتحدث عن ملك من ملائكة اللَّه تعالى من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمِائة عام**»(١).

هذا المَلك على عظيم خَلْقه بهذه الصورة التي تفوق حد تخيّلنا وليس تفكيرنا... يوم القيامة لا يرجو إلا رحمة اللَّه سبحانه... فماذا يفعل بنفسه من أعماه الباطل عن الحق ومات على كفره وشركه وضلاله واعتقاده بأن للَّه ولداً أو أن اللَّه اتخذ لنفسه ولداً.

... ثم لنتابع الآيات القرآنية ففيها وعيد اللَّه للكافرين بأنهم سيأتونه داخرين صاغرين، وفيها اطمئنان للمؤمنين أن اللَّه سبحانه لن

---

(١) أخرجه أبو داود حديث صحيح.

يترهم أعمالهم ولن ينسى عند البعث والنشور والخروج وتشقق الأرض أحداً من المؤمنين.

﴿ لَقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴾ .

[سورة مريم، الآيتان: ٩٤، ٩٥]

هكذا يُبعث الناس لا يُنسى منهم أحد، ويكون البعث بمنتهى الدقة والعلم الإلٰهي لا عشوائية ولا فوضى ولا استهتار ولا نسيان، فهذه صفات آدمية وليست صفاتٍ إلٰهيةً، فاللَّه سبحانه الذي خلق السموات السبع بكل هذه الدقة وهذا النظام، وخلق الأرض وخلق أقواتها بعلم ونظام يفوق كل تخيلاتنا وعلمنا ومهما أوتينا من العلم... فالبعث سيكون منظماً وأحداثه تباعاً دقيقة ومفصلة مرتبة ترتيباً إلٰهياً عجيباً.

فلننظر في مشاهد وآيات البعث والنشور في القرآن الكريم وفي هذه اللحظات الحاسمة لحظات البعث والنشور والخروج من القبور.. وكيف يكون الموقف يومئذ، وما شعور البشرية بعد أن تستفيق من موتتها وغفلتها وتشاهد الحقائق التي تبدأ ولا نهاية لها، والتي بذل الكفرة كل جهد جهيد في دنياهم لنكرانها وبطلانها وتكذيبها، وذلك بعد فترة جدل البعث والنشور بين الأنبياء وأقوامهم في التاريخ الإنساني.

جدل البعث والنشور بين الأنبياء وأقوامهم في التاريخ الإنساني

بعث الخلائق ونشرهم قضية محورية هامة، إذ كانت محور الجدل القائم بين كل الأنبياء والرسل الذين أرسلهم اللّه سبحانه إلى أقوامهم، وحسب آيات القرآن الكريم أنه ما جاء نبي أو رسول إلى قوم إلا كذبوا قيام الساعة والبعث والنشور... كذبوه تكذيباً قاطعاً. وكم من الآيات الكريمة التي نقل لنا فيها القرآن الكريم المحاورات التي كانت تتم بين الأنبياء وأقوامهم.

...كانوا لا يضدقون ما يقوله الأنبياء عن الساعة والبعث والنشور ويوم القيامة والحساب والعقاب... كان الكفر قد أعمى قلوبهم والجهل أعمى أبصارهم، كانوا لا يسمعون ولا يريدون أن يسمعوا... بل وصل بهم الأمر مع نبي اللّه نوح عليه السلام أنه إذا تكلم جعلوا أصابعهم في آذانهم وألقوا ثيابهم على رؤوسهم حتى لا يسمعوا ولا يشاهدوا ما يهديهم إليه نبي اللّه نوح عليه السلام.

يقول تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ .

[سورة نوح، الآيات: ٥ ـ ٧]

كان الكفر قد سيطر على قلوبهم، والجهل على عقولهم فلم يؤمنوا بقدرة اللَّه سبحانه على قيام الساعة وبعثهم بعد حياتهم فما قدروا اللَّه حق قدره وكانت غشاوة على قلوبهم وبصائرهم... بل كانوا يتوعدون أنبياءهم بالقتل عندما يجادلونهم في الساعة والبعث والنشور.

يقول تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾.

[سورة الجاثية، الآية ٢٤]

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ۞ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾.

[سورة الدخان، الآية: ٣٥]

ويقول تعالى على لسان أقوام الأنبياء وهم يوجهون كلامهم إلى أنبيائهم:

﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

[سورة يس، الآية: ١٨]

ويقول تعالى: ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾.

[سورة الشعراء، الآية: ١١٦]

ولقد أقسم اللَّه تعالى في كتابه الكريم على العودة والبعث والنشور

يقول تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة النحل، الآية: ٣٨]

ويقول تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾.

[سورة التغابن، الآية: ٧]

تصوروا أن اللّه العزيز الحكيم القوي القادر الغني عن عباده جميعاً يقسم في القرآن الكريم على أن بعث الناس حق، وأنه وعد من اللّه سبحانه الذي لا يخلف ميعاداً، ويبيِّن اللّه سبحانه أن بعث العباد أمر يسير وهو أهون عليه من الخلق، وكلٌّ هين على اللّه سبحانه..

يقول تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

[سورة الروم، الآية: ٢٧]

.. فماذا يُريد البشر أكثر من هذا من اللّه سبحانه؟ إنه يعدهم بالعودة إليه ويقسم عليها، أهذا أفضل؟ أو يتركهم تراباً ويحولهم إلى سراب بعد موتهم وانتهاء أمرهم إلى أبد الآبدين.. فلا أرى أن من ينكر البعث والنشور إلا من أغلق قلبه وسمعه وعقله ولهذا سئل أصحاب النار: ما جاء بكم إلى جهنم؟ قال تعالى على لسان ما يقوله الكافرون والمنكرون للبعث وهم في جهنم:

﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾.

[سورة الملك، الآية: ١٠]



الفصل الثاني

- مشاهد وآيات البعث والنشور في القرآن الكريم .
- كل الخلائق تبعث يوم القيامة كبعث نفس واحدة .
- المنكرون للبعث والنشور في التاريخ الإنساني وفي العصر الجاهلي .
- كيف يخرج الناس من القبور؟ ومن هو أول من ينشق عنه القبر؟
- هل تتغير الأجساد عند بعثها وخروجها من القبور والأجداث؟
- هل يبعث وينشر الجن والوحش مع الإنسان عند نفخة البعث؟
- إذا بعث الناس ونشروا وحشروا على أرض الدنيا فهل يأكلون ويشربون؟
- بعث وحشر الزمان والمكان (الأيام، والأرض) .
- حشر يوم الجمعة وفيه (صلاة الجمعة) أعظم الأيام عند اللَّه سبحانه .
- البعث والنشور والقيامة عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى .





مشاهد وآيات البعث والنشور في القرآن الكريم

يقول تعالى: ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾.

[سورة ق، الآيات: ٤١ ـ ٤٤]

ويقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾.

[سورة الكهف، الآية: ٤٧]

ويقول تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ١٠١]

ويقول تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ * خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ * مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾.

[سورة القمر، الآيات: ٦ ـ ٨]

ويقول تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ * قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ * إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾.

[سورة يس، الآيات: ٥١ ـ ٥٣]

ويقول سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ .

[سورة الروم، الآية: ١٤]

ويقول الحق سبحانه: ﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ .

[سورة الانفطار، الآيتان: ٤، ٥]

ويقول تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ .

[سورة الانشقاق، الآيات: ١ ـ ٤]

ويقول تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ .

[سورة النبأ، الآية: ١٨]

ويقول تعالى: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ .

[سورة القارعة، الآية: ٣]

ويقول تعالى: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ * فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ .

[سورة المدثر، الآيات: ٨ ـ ١٠]

ويقول أيضاً: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴾ .

[سورة النازعات، الآيات: ٩ ـ ١٢]

ويقول تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ * يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾ .

[سورة المعارج، الآيات: ٤٢ ـ ٤٤]

هذه الآيات الكريمة التي ذكرت من مشاهد البعث والنشور والتي تحدث عنها اللَّه سبحانه بشيء من التفصيل، وكل آية من هذه الآيات الكريمة تفصل حالة من الحالات الكثيرة التي تقع للناس في لحظة القيام والبعث والنشور.. فكل آية أو أكثر من السورة الواحدة تمثل مشهداً حقيقياً لواقع البعث والنشور عند نفخة البعث، عندما يأمر اللَّه سبحانه إسرافيل فينفخ في الصور فتبعث الخلائق من أجداثها وقبورها ومخابئها التي كانت مدفونة فيها، كمن غرق في مجاهل وأعماق البحار أو من حرق وبعثرت ذراته في الهواء كما يفعل أقوام كثيرون، أو من قطعت أجسادهم أشلاء وأذيبت أو من ماتوا وهم في السماء في رِحلات فضائية أو من أكلتهم السباع، ..... فلنعد للآيات الكريمة ونفسرها ونتبيَّن ما فيها من إعجاز إلٰهي وما يكون عليه الناس مؤمنهم وكافرهم وعاصيهم وفاسقهم وأهل الضلال منهم وأهل الأعمال الصالحة والصادقون والشهداء والعلماء وأهل الغنى وأهل الفقر والعبيد والقادة وأهل الكبر وأهل التواضع.... ويجب أن نعلم وقبل الدخول في التفسير والبيان واستعراض أقوال الصحابة والفقهاء أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يبعث كل عبد على ما مات عليه**».

[رواه مسلم وابن ماجه]

فعلينا أن لا نموت بإذن اللَّه تعالى إلا مؤمنين مسلمين طائعين عابدين للَّه سبحانه نؤمن بالغيب وباليوم الآخر ونؤمن أن وعد اللَّه حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها.

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ١٠٢]

ويقول تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾.

[سورة آل عمران، الآية: ٨٥]

ويقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة الحشر، الآية: ١٨]

وفيما يلي تفسير وبيان وتحليل ودراسة لآيات البعث والنشور يقول تعالى:

١ ـ ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ * إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾.

[سورة ق، الآيات: ٤١ ـ ٤٤]

فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية بأمر من اللّه سبحانه، فإن كل من في السموات والأرض إلا يظن أن هذه الصيحة العظيمة آتية إليه من مكان قريب، فإذا ما سمعوها وهم لا يزالون في أجداثهم جاهزين للخروج عندئذ تشقّق الأرض عنهم سريعاً ويخرجون من أجداثهم في لمح البصر وهذا حشر على اللّه يسير.

ويقول ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴾ ذلك أن اللّه سبحانه ينزل مطراً من السماء ينبت به أجساد الخلائق كلها في قبورها كما ينبت الحب في الثرى بالماء، فإذا تكاملت الأجساد أمر اللّه تعالى إسرافيل فينفخ في الصور فإذا نفخ فيه خرجت الأرواح تتوهج إلى الجسد الذي كانت تَعْمُره، فترجع كل روح إلى جسدها فتدب فيه كما يدب السم في اللديغ وتنشق الأرض عنهم

فيقومون إلى موقف الحساب سراعاً مبادرين إلى أمر اللَّه(١).

يقول تعالى:

٢ ـ ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ * خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ * مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾.

[سورة القمر، الآيات: ٦ ـ ٨]

يقول اللَّه سبحانه لمحمد ﷺ: تول عن الكفار من قريش، وانتظر لهم ولأمثالهم يوماً حين ينفخ إسرافيل في الصور نفخة البعث، فيدعون إلى يوم فظيع مخيف على الكافرين غير يسير، يخرجون من أجداثهم خاشعة أبصارهم ذليلة رقابهم من كفرهم وشركهم... ثم ينقلنا اللَّه سبحانه إلى هذا المشهد عند الخروج من الأجداث، وكأن الناس يطيرون في السماء مثل الجراد، ومثَّل اللَّه هذا المشهد بالجراد لكثافة الناس يومئذ وأعدادهم الهائلة. فإذا كان اليوم عدد سكان الأرض ما يزيد على ستة مليارات إنسان، فكم يكون العدد عند البعث والنشور حيث تجمع الخلائق جميعاً الأولون والآخِرون، مهطعين أي مسرعين مادين أعناقهم استجابة لمن دعاهم، ويصيح الكافرون يومئذ خوفاً وهلعاً، ويدركون أن هذا اليوم عسير عليهم في ذله وهوانه وعذابه.

وفي تفسير ابن كثير: يقول اللَّه: فتول عنهم يا محمد عن هؤلاء الذين إذا رأوا آية يعرضون ويقولون: هذا سحر مستمر، أعرض عنهم وانتظرهم ﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴾ أي إلى شيء منكر فظيع، وهو موقف الحساب وما فيه من البلاء والأهوال ﴿ خُشَّعًا

(١) تفسير ابن كثير مختصر ابن كثير صفحة ٣٧٩.

أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أي ذليلة أبصارهم ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ وهي القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ أي كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب إجابة للداعي جرادٌ منتشر في الآفاق ولهذا قال ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ أي مسرعين ﴿إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ لا يخالفون ولا يتأخرون ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ أي يوم شديد الهول عبوس قمطرير، كقوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾[1].

٣ ـ ويقول تعالى في ذات المعنى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ * مَا ٱلْقَارِعَةُ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾.

[سورة القارعة، الآيات: ١ ـ ٤]

وهذه صورة أخرى وصفها اللّه سبحانه لحال الناس عند نفخة البعث الثانية وبعد خروجهم من القبور كأنهم فراش مبثوث.. فمرة وصفهم بالجراد المنتشر ومرة وصفهم بالفراش المبثوث.. وفي هذين توافق لأن الجراد يأتي بصورة أفواج هائلة العدد ينتشر في السماء بسرعة كبيرة.

ويقول ابن كثير في قوله: ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ أي في انتشارهم وتفرقهم وذهابهم ومجيئهم.

٤ ـ ويقول تعالى في ذات المعنى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾.

[سورة النبأ، الآية: ١٨]

نعم يأتون أفواجاً أفواجاً أي أمماً أمماً أو جماعات جماعات مثل أفواج الجراد وأفواج الفراش، وفي هذه طامة كبرى وذل كبير

(١) مختصر تفسير ابن كثير.

فأين أنت من هذه الأفواج الهائلة إن لم تأت اللَّه بقلب سليم وإيمان كبير وعمل صالح يقيك شر هذه الأهوال؟

يقول تعالى في سورة يس واصفاً هذه الحالة الحرجة والمفزعة والرهيبة والمخيفة، لأنه أول اصطدام للبشر بحقائق يوم القيامة في مشهد تصويري حركي، وكأن اللَّه سبحانه يصور أمامنا الحدث:

٥ ـ ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ * وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ * قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ * إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ .

[سورة يس، الآيات: ٤٨ ـ ٥٣]

إن هذه الآيات من سورة يس حقيقةً، هي مشهد حركي يظن كل من يقرؤها أن المشهد يخصه، ويتصور نفسه كيف سيخرج من قبره فجأة؟ وكأنه كان في مرقد للنوم واستفاق فجأة، فرأى الحقائق التي كان يتحدث عنها كتاب اللَّه في الدنيا وقرأها مرات ومرات. . يا لها من لحظة حاسمة. . وإنها البداية التي لا نهاية لها والتي لا نملك من أمرنا فيها شيئاً. . فالتفويض الذي وهبنا اللَّه إياه في الدنيا دار الاختبار والامتحان والعمل بحرية الرأي والتفكير والعمل قد انتهى.

يقول تعالى عن دار الدنيا: ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .

[سورة فصلت، الآية: ٤٠]

هذه آية للدنيا ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴾ أما الآن فلا مشيئة لكم في أي شيء فالأمر للَّه وحده دون معين ولا واسطة ولا شفيع إلا من أذن له الرحمن.

ـ الجميع صاغر بصره شاخص، الهول يفجأه ويبهته، والعض على

الأنامل بدأ والحسرة في القلب تجيش، والقلوب عند الحناجر، والرؤوس خشعت، وهذه الهامات للجبابرة ذلت، وملائكة العذاب تستعد لتتلقف المجرمين بعد أن يصلوا إلى أرض المحشر إنه موقف الويل والثبور ﴿ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ وموقف ذكرى الأعمال ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ وموقف الحسرة والندم، وما يفيد الندم وما تفيد الحسرة، والعودة لإصلاح العمل أصبحت مستحيلة والإنظار الإلٰهي انتهى فلا نصر ولا إنظار من الإلٰه ﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ ترهق الكافرين والعصاة ذلة وهوان وفزع وخوف، يخرجون حفاة عراة ينتظرون الآتي وهو الأمرّ والأصعب والأهول. . . وأما المؤمنون وإن يفجأهم الخروج والبعث من القبور، إلا أنهم سرعان ما تعود بهم ذكراتهم إلى عملهم الصالح وإيمانهم باللَّه وطاعتهم وعبادتهم فتهون عليهم لحظات البعث والنشور، ولكن لا تقضي على خوفهم وفزعهم فكل يستصغر عمله الصالح ساعتئذ، ولا أحد يأمن على نفسه في ظل هذا الحدث العظيم.

ولننظر في تفسير ابن كثير وما يقول هو والصحابة رضوان اللَّه عليهم في تفسير هذه الآيات من سورة يس. . .

يقول متحدثاً عن النفخة: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

هذه هي النفخة الثالثة وعند غيره من المفسرين (النفخة الثانية) لأن ابن كثير يقول: ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق (الموت) ونفخة البعث ـ يقول: هي نفخة البعث للقيام من الأجداث ولهذا قال تعالى: ﴿ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ والنسلان هو المشي السريع كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا ﴾ الآية ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ

بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ يعنون قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يبعثون منها، فلما عاينوا ما كذبوا به في محشرهم ﴿ قَالُوا يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾.. وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم لأنه بالنسبة لما بعده من الشدة كالرقاد، قال أبي بن كعب ومجاهد والحسن: ينامون نومة قبل البعث، قال قتادة: وذلك يكون بين النفختين، فلذلك يقولون: ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ﴾ فإذا قالوا أجابهم المؤمنون: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ وقال الحسن: إنما يجيبهم الملائكة[1]، وقال عبد الرحمن بن زيد: الجميع من قول الكفار ﴿ قَالُوا يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ نقله ابن جرير، واختار الأول وهو أصح، وذلك كقوله تعالى في الصافات ﴿ وَقَالُوا يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۞ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾، وأما قوله تعالى: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ كقوله: ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۞ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾ قد جلت عظمته ﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾، وقال جل جلاله ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي إنما نأمرهم أمراً واحداً فإذا الجميع حاضرون[2].

... ومن خلال عرضنا لتفسير ابن كثير، فإننا تبيَّنَّا رأي الصحابة الأجلّاء والمفسرين الكبار رحمهم اللّه جميعاً ورضي عنهم.. ونجد في التفسير آراء مختلفة، ولكنه اختلاف رأي في تفسير

(١) قال ابن كثير: ولا منافاة بين القولين إذ الجمع ممكن والقول الأول قاله غير واحد من السلف والله أعلم... وأرى أن قول الحسن ربما يكون أقرب فالملائكة هي التي تجيب لأن جميع الخلق كافرهم ومؤمنهم في لحظات البعث يكونون في حالة خوف شديد ثم يطمئن المؤمنون بعد ذلك.

(٢) تفسير ابن كثير مختصر ابن كثير صفحة ١٦٦ ـ ١٦٥.

آية كريمة.. كاختلافهم في من هو القائل ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ هل الملائكة هي القائلة أم عموم المؤمنين الذين يبعثون؟ فمنهم من قال: الملائكة، ومنهم من قال: المؤمنون، هذا اجتهاد يبقى ولا يؤثر في معاني التفسير لأن كلا الوجهين محتمل ـ ونحن بدورنا نؤيد رأي القائل هم الملائكة وربما غيرنا من المعاصرين يؤيد رأي أن المؤمنين هم القائلون.

٦ ـ ويقول تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ١٠١]

ويقول تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾.

[سورة الروم، الآية: ١٤]

هذه القضية مهمة جداً... فإنه ومن نفخة البعث وقيام الناس من قبورهم ملبين نداء اللّه سبحانه تقطع الأنساب ويتفرق الأحباب، فلا الأب يعرف ابنه أو يتعرف عليه، ولا الابن يعرف أباه أو يتعرف عليه، ويفر المرء من زوجهِ وأخيه وأبيه وأمه وجميع أقربائه وحتى من جميع أصدقائه، وهذا ما يأتي بيانه مفصلاً عند الحديث عن يوم القيامة بعد أن يُحشر الناس في أرض المحشر.. ولكن المهم أن الأنساب تنقطع ومنذ اللحظة الأولى لقيام الناس لرب العالمين... إذ ينظر الإنسان إلى ما حوله فلا يرى إلا بشراً منتشرين كالجراد وكالفراش، أعدادهم بالمليارات، فلا يعرف أباً ولا أخاً ولا أماً، وقد يكونون مدفونين إلى جواره، وينشرون إلى جوار بعضهم فلا يلتفت أحد إلى أحد ولا ينظر إليه وكأنه لا يراه، وأي رؤية وحديث وعتاب في يوم عسير أهواله عظيمة، فالأمر أكبر من أن ينظر أحد إلى أحد وتزداد هذه الشقة وهذا

البعد عندما يبدأ فصل الحساب على أرض الميعاد ويرى الناس ما يرون من أهوال يوم القيامة.

. . . قطعت الأنساب وتمزقت أشلاؤها وتفرقت كياناتها التي كانت في الدنيا ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ نعم تقطع الأنساب ويتفرق الأقرباء والأحباب في الدنيا . . . وكل الناس يشاهدون هروب الآخر، وهو يهرب ويتفرق عنهم وهم يهُربون منه ويتفرقون عنه ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ وهنا يقع السؤال لكل أولئك الذين يخالفون أمر اللَّه سبحانه في تربية أولادهم وتوزيع الميراث عليهم وعلى أزواجهم وحرمان البنات وتسجيل أملاكهم للذكور. . أو في سعي الأب إلى الحرام من أجل تأمين معيشة أولاده بالمستوى اللائق وفي تأمين حياتهم من بعده.

كثيرون أولئك الذين يقسمون ميراثهم على أبنائهم في حياتهم الدنيا يدفعهم التعالي على اللَّه والخوف على ذريته من بعده، فيعطي هذا ويحرم هذا أو يعطي الذكور دون الإناث. .أو يكتب رزقه كله باسم بناته إن لم يكن له ذكور من أجل أن لا يرث إخوته منه شيئاً. . . . وقصص كثيرة بهذا الشأن شاهدناها، وسمعناها وكل هؤلاء يُنصِّب نفسه مشرعاً ومخططاً لمستقبل أولاده، وينسى ما أمر اللَّه سبحانه في كتابه، وكيف وزع الإرث بعدله وأمر الناس جميعاً أن يطبقوه، وتوعد من يخالف أمره نار جهنم خالداً فيها إن استحلّ ذلك، يقول تعالى في سورة النساء بعد أن بيَّن أحكام الميراث وأعطى كل ذي حق حقه:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾.

[سورة النساء، الآيتان: ١٣، ١٤]

وليعد أحدكم إلى آيات الميراث من سورة النساء من آية ٧ ـ ١٢ ثم ليقرأ آية ١٣ ـ ١٤ كما أوردنا، عندها يدرك حدود اللَّه ويدرك أنه في الدنيا مؤتمن على أولاده وزوجته، وراع لهم يؤجر عليهم حتى في اللقمة التي يأكلونها إن كانوا على طاعة للَّه سبحانه، ويعرفون حدود اللَّه فلا يتعدونها ويعرفون معاصيهُ فلا يقربونها. . . أن تسعى لابنك وتعطيَه من الكسب بالحلال فهذا يرضي اللَّه سبحانه ويأجرك عليه، أما إذا خالفت أمر اللَّه وسعيت لأنجالك في المال الحرام فاعلم أنه لا أنساب بينك وبين ابنك أو زوجتك أو أحد إذا قامت الساعة وعلى طول يوم القيامة.

وفي تفسير تلك الآية الكريمة: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ **يقول محمد علي الصابوني في صفوة التفاسير**: أي فلا قرابة ولا نسب ينفعهم يوم القيامة لزوال التراحم والتعاطف من شدة الهول والدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي لا يسأل بعضهم بعضاً عن شأنه لاشتغال كل واحد بنفسه. وعن قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾.

[سورة الروم، الآية: ١٤]

يقول الصابوني: أي ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرق المؤمنون والكافرون[١].

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني صفحة ٨٨٦ وصفحة ١٠٣٥.

ومن آيات البعث والنشور العظيمة ذات الدلالات الكثيرة عن واقع وحال الأرض عند البعث والنشور وبعد نفخة البعث حيث يبيِّن اللَّه سبحانه وتعالى كيف يمد الأرض.

٧ ـ يقول تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾.

[سورة الانشقاق، الآيات: ١ ـ ٥]

﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾

مُدَّت: بسطت وسويت كمد الأديم.

وألقت ما فيها: لفظت ما في جوفها من الموتى.

وتخلت: أي خلا ما في جوفها غاية الخلو بحيث لم يبق في جوفها أحد إلا غادرها إلى سطحها.

آيتان كريمتان تستوجبان التوقف عندهما، وقفة المتمعن المتفحص والمتأني ليدرك المعنى المراد.. فلماذا تمدُّ الأرض وهي آيلة إلى نهاية بعد حين، وبعد أن ينقل اللَّه سبحانه العباد إلى أرض المحشر؟

.... وإذا استعرضنا جميع الآيات القرآنية التي يتحدث اللَّه سبحانه فيها عن الأرض عند قيام الساعة، نقرأ أن كل ما في الأرض سيدمر، الجبال والوديان والبحار والأنهار ـ وهذه الجبال الشاهقات ينسفها اللَّه نسفاً فتتطاير في الهواء وتصبح ذرات كالعهن المنفوش.... بعد ذلك تمدُّ الأرض وتسطح فلا عَلَم فيها ولا جبل ولا بحر ولا وادياً ولا أي أثر، ثم يخرج الناس بعد نفخة البعث من قبورهم على أرض مستوية.. فإذا نظر أحدنا فهو لا يدري أين هو، فلا الأرض هي الأرض ولا السماء هي السماء ويرى الأرض مستوية

استواءً دقيقاً حيث ترى عيناه إلى مسافة بعيدة ولا يرى إلا رؤوس بشر نشرت وخرجت من قبورها وهي بالمليارات ويا لهول المنظر ويا للخوف الذي يرعب الناس. .

نعم تمد الأرض مدًّا كبيراً لا يعلم مداه إلا اللَّه سبحانه، لتسع المخلوقات من جن وإنس ووحش والتي لا يعلم عددها إلا اللَّه. . ونعود إلى القول: إن عدد سكان الأرض اليوم من البشر ما يزيد على ستة مليارات ولا يعلم عدد الوحوش والأنعام والطير والجن فيها إلا اللَّه ـ فماذا نقول عن الزمان الطويل الذي كان قبلنا والزمان الذي سيأتي بعدنا. . هؤلاء جميعاً ينشرون ويبعثون نشراً واحداً وبعثاً واحداً وفي لحظة واحدة ومن صيحة واحدة ومن زجرة واحدة فلا بد أن تمد الأرض وتلغى جبالها ووديانها وبحارها وتصبح أرضاً واحدة مستوية ليحشر الخلق عليها سوية دون نقصان لواحد منهم، وما كان ربك نسياً.

قال ابن كثير في تفسير هاتين الآيتين ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أي بسطت وفرشت ووسعت، وفي الحديث الشريف «**إذا كان يوم القيامة مدَّ اللَّه الأرض مدَّ الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه**»[(١)].

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أي ألقت ما في بطنها من الأموات وتخلت عنهم ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي وحق لها أن تطيع أمره لأن العظيم لا يمانَع ولا يغلب بل قد قهر كل شيء وذل له كل شيء.

وقال الزحيلي وأصحابه في الموسوعة القرآنية الميسرة في تفسير هاتين الآيتين:

---

(١) أخرجه ابن جرير عن علي بن الحسين مرفوعاً.

﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أي إن الأرض بسطت ومدت كما يمد الجلد وذلك بزوال جبالها وقذف جميع ما فيها، وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أي ألقت ما فيها من الموتى والكنوز إلى ظاهرها وخلت خلواً تاماً مما كان في جوفها.

وقال الصابوني في صفوة التفاسير في تفسير هاتين الآيتين الكريمتين: ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أي إذا الأرض زادت سعة بإزالة جبالها وآكامها وصارت مستوية، لا بناء فيها ولا وهاد ولا جبال، وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أي رمت ما في جوفها من الموتى والكنوز والمعادن وتخلت عنهم.

وقال القرطبي: أي أخرجت الأرض أمواتها وتخلت عنهم وألقت ما في بطنها من الحمل وذلك يؤذن بعظم الهول.

. . . . وهكذا نجد هنالك تقارباً في التفاسير، والاختلاف فقط في تفسير اللغة ومعاني الكلمات، ولكن كلها ومع ما قلنا تصب في إناء هول قيام الساعة وهول البعث والنشور.

كل الخلائق تبعث
يوم القيامة كبعث نفس واحدة

يقول تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾.

[سورة لقمان، الآية: ٢٨]

آية عظيمة يجب أن نتوقف عندها ونتأملها وننظر فيها إلى عظمة اللّه سبحانه فهذه قضية مهمة في عالم البشر.. فاللّه سبحانه يعلم ذاته وقدرته بعلمه وهو يعلم كيف يحيي الخلائق جميعاً كإحيائه لنفس واحدة، فهو الخالق وهو أعلم بما خلق.... ولكن اللّه سبحانه يتوجه في هذه الآية الكريمة للبشر مؤمنهم وكافرهم مطيعهم وعاصيهم، المؤمن منهم بالبعث والنشور والمنكر للبعث والنشور وذلك لتطمئن قلوب الجميع فيزداد إيمان المؤمن.. وعسى بهذه الآية تطمئن قلوب المنكرين إذا قرؤوها وتهديهم.. والقرآن الكريم كله آيات هداية وتنوير وتبصير، تماماً كخطابه الموجه للناس الذين في قلوبهم ريب من البعث علهم يعودون كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٥]

يقول المنكرون للبعث وإعادة الأموات إلى الحياة مرة أخرى

بعد أن تحولت أجساد الموتى إلى عظام وتحولت العظام إلى تراب.. يقولون: كيف يعيد اللَّه آلاف المليارات من الخلائق وقد تحولوا إلى تراب بعد طول زمان؟ يهولهم الأمر ويستعجبون منه ولا يصدقونه!!

وليسأل أحدنا نفسه سؤالاً هيناً ليناً فيقول: هل يعجز هذا الإلٰه العظيم خالق السموات والأرض والناس أجمعين أن يحيي ميتاً واحداً وأن يعيد نفساً واحدة ويبعثها؟.. فالجواب حتماً أن اللَّه لا يعجزه أن يحيي نفساً واحدة من كل هذه الخلائق.. فتقول: إن الذي يعلم سر إرجاع نفس واحدة يعلم سر إرجاع الخلق جميعاً.

.... فلو أن الطب عرف كيف يشفي مريضاً واحداً بمرض السرطان بدواء جديد صنعوه وجربوه على هذا المريض، فإذا شفي منه فيعني هذا شفاء جميع مرضى السرطان، لأن سر المرض اكتشف باكتشاف دوائه وكذلك المذياع فإنه في يوم لم يكن موجوداً، ولكن لما تم اختراع وصناعة مذياع واحد وعُرف سره، نسخت منه ملايين النسخ فيما بعد، وكذلك أي آلة لم تكن معروفة فعرفت وصنعت منها الآلة الأولى، تكرر منها ملايين النسخ فيما بعد.

فالإنسان لا يستطيع أن يحيي الميت لأنه لا يملك هذا العلم، وعقله المخلوق عندما خلقه اللَّه سبحانه، أوقفه عن علم إحياء الميت، ومهما تطور العقل وارتقى فلن يصل إلى هذا العلم.. ولكن اللَّه يعلم كيف يحيي الميت.. وكما أن صناعة المذياع الأول والهوائي الأول والهاتف الأول يعني صناعة ملايين النسخ، كذلك فإن علم اللَّه بإحياء ميت واحد يعني إحياء المليارات، وخلق الإنسان الأول آدم عليه السلام يعني خلق المليارات مثله.

.... فالأمر يسير على اللَّه وأيسر مما نتخيل، فإذا ما اكتمل

نبات الأجساد وكما قدَّمنا من قبل بالمطر الذي ينزله اللَّه سبحانه بين النفختين، يرسل اللَّه سبحانه عند النفخة الثانية (نفخة البعث) الأرواح التي كانت في الأصل في الأجساد قبل موتها. . أي يعيد اللَّه سبحانه تلك الأرواح إلى أجسادها دون أن تخطئ روح واحدة في دخول جسدها، لأن لها شيفرة ولغزاً وتطابقاً وحيداً فقط مع جسدها لا يمكن أن تخطئ، فلا تدخل في جسد آخر لأنه يرفضها وهي ترفضه. . . . تنظيم إلٰهي فوق قدراتنا العقلية وتخيلاتنا الفكرية.

. . . . لذلك قال تعالى وفي أكثر من آية ذكرناها أن هذا الحشر عليه يسير: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًاۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾.

[سورة ق، الآية: ٤٤]

يسير لأنه يعلم سر إعادتهم جميعاً كإعادة نفس واحدة وما ذلك على اللَّه بعزيز.

المنكرون للبعث والنشور في التاريخ الإنساني وفي العصر الجاهلي

قدَّمت في فِقرة سابقة أن أكثر أقوام الأنبياء والمرسلين أنكروا قيام الساعة، وأنكروا البعث والنشور، إلا قلة ممن آمن مع الرسل والأنبياء، وقد بيَّن اللَّه سبحانه لنا هذا الجدل بين الأنبياء والمرسلين وبين أقوامهم وبين نكرانهم للبعث والنشور ويوم القيامة.

يقول تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾.

[سورة الجاثية، الآية: ٣٢]

وكذلك وقع الجدل بين المشركين والمنكرين للبعث والنشور وبين محمد ﷺ، فقد صح في الحديث أن رجلاً جاء إلى رسول اللَّه ﷺ وبيده عظام بالية أمسك واحدة منها ثم فتتها فتحولت إلى ما يشبه التراب، وقال لمحمد ﷺ: من يعيدها إلى الحياة الدنيا مرة أخرى مستهجناً ومستغرباً ومنكراً العودة وبعث هذه من جديد، فنزل قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾.

[سورة يس، الآيتان: ٧٨، ٧٩]

فما هي الأسباب التي تؤدي بالإنسان إلى نكران البعث والنشور؟؟

. . . . إن ما يؤدي إلى نكران البعث والنشور لدى كثير من الناس نوجزه فيما يلي من النقاط:

أولاً ـ إن الكفر والشرك سببان رئيسان لنكران البعث والنشور فما الفرق بين المؤمن والمشرك؟ . . المؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر والمشرك لا يؤمن بمن يبعث الخلائق وينشرهم ويحشرهم ليوم الحساب.

ثانياً ـ إن الذين ينكرون البعث والنشور هم أولئك الذين رضوا بالحياة الدنيا، ويتمتعون بكل الشهوات التي فيها، ولا يريدون أن يمنعوا عنها. فالربا ـ والزنا ـ والخمر ـ والمخدِّرات ـ والتعري ـ والقيْنات ـ والمعازف والفواحش وكل ما حرمه الله هو جزء من حياتهم ومتعتهم. . وإيمانهم باليوم الآخر والبعث والنشور والحساب والعقاب يمنعهم من هذه المتعة وهذا الفحش.

ثالثاً ـ المنكرون أيضاً هم أولئك الذين لم يعرفوا ربهم حق المعرفة وما قدروه حق قدره وما علموا عنه شيئاً. . وما علموا أنه خالق السموات والأرض وما علموا ما معنى السموات والأرض وعظيم أمرهما وقدرة الله سبحانه في بنائهما وإيجادهما. . وما قدروا الله حق قدره في وجودهم وحياتهم وخلقهم فهم يصدقون ما يرون وينكرون كل ما لا يرون لجهلهم بالخالق وقدرته وعظيم علمه وقوته وجبروته وسلطانه وسعة ملكه.

يقول تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٧]

وقدَّم الله سبحانه لهؤلاء في القرآن الكريم عشرات الآيات

القرآنية وسوراً بكاملها، تجادل هؤلاء وتبيِّن لهم قدرة اللَّه التي لا يعجزها شيء في السموات ولا في الأرض، ففي سورة الرحمن قدَّم اللَّه سبحانه الكثير من البراهين على قدرته في آيات متتابعات بين كل آيتين، الآية: كقوله ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[سورة الرحمن، الآية: ١٦]

وكذلك توعده المكذبين ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ في سورة المرسلات بعد أن بيَّن قدراته ومعجزاته في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ * فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا * وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[سورة المرسلات، الآيات: ٢٠ ـ ٢٨]

وفي الجدل القائم بين موسى عليه السلام وفرعون يقول تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ * قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾

[سورة طه، الآيتان: ٤٩، ٥٠]

ففرعون يجهل من هو رب موسى وما قدرته وعن أي إلٰه يتكلم موسى؟ عليه السلام، لذلك قال تعالى في آية أخرى على لسان فرعون يقول لموسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾.

[سورة القصص، الآية: ٣٨]

جهل مطلق من فرعون وقومه باللَّه سبحانه وقدرته، ولما جاءهم من عند اللَّه رسول يبيِّن لهم الحق، أنكروا عليه خوف ضياع مكانتهم وملكهم وضياع شهواتهم ومتعة غرائزهم.

رابعاً ـ غير المنكرين هنالك المشككون بالبعث والنشور ليسوا منكرين ولا هم متيقنين.. غلبت عليهم شهواتهم وحبهم

للدنيا ومتعتها، فهُرِعوا إلى ارتكاب الآثام والفواحش بمختلف أشكالها وألوانها، فغلب عليهم الشك في البعث والنشور وباؤوا بالخسران المبين، وإلا كيف تفسر ارتكابهم للمعاصي والآثام والفواحش دون التوبة والعودة إلى اللَّه؟ إلا أن الشك قد غلبهم فتحولوا إلى صنف المنكرين للبعث والنشور، وما دفعهم إلى ذلك إلا إصرارهم واستمرارهم في ارتكاب المعاصي التي حولتهم أخيراً إلى منكرين للبعث والنشور.

خامساً ـ وهناك نوع من المنكرين ممن تلبستهم عقائد منكرة للبعث والنشور واليوم الآخر وهؤلاء يجادلون في اللَّه وهم لا يملكون من علم عن اللَّه شيئاً، وليس لديهم حجة إلا سفسطائية الكلام والزبد منه، وقد وصفهم اللَّه سبحانه وصفاً بيِّناً واضحاً في قوله سبحانه وتعالى.

يقول تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾.

[سورة الحج، الآية: ٨]

نعم هم يجادلون في الباطل ليدحضوا به الحق، لحبهم للدنيا وزينتها ومتعتها، ولا يحبون أن ترحل عقولهم أكثر من تحقيق أحلامهم في الدنيا وتمكين أنفسهم وأجسادهم من النيل من متعتها وشهواتها.

سادساً ـ وفي محاورة تقع يوم القيامة في جهنم بين خزنة النار من الملائكة وبين أصحاب النار من الكافرين والمشركين والضالين والمنكرين للبعث والنشور واليوم الآخر.

يقول اللّه تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

[سورة الملك، الآيات: ٦ ـ ١١]

ففي الآيات الكريمة نفى أصحاب السعير عن أنفسهم العقل وحسن الاستماع إلى الحق والحقائق في الدنيا، فلم توصلهم عقولهم التي استعملوها للدنيا فقط، إلى ما وراء هذه الدنيا، حجبهم عن ذلك آمالهم الدنيوية ورغباتهم الشهوانية.

سابعاً ـ كثيرون من المنكرين للبعث والنشور أغلق اللّه قلوبهم وأصم آذانهم وأعمى أبصارهم وختم على قلوبهم، لعلم اللّه سبحانه ما في قلوبهم من الكفر والشرك والنفاق وحب الدنيا وفعلهم للمنكر وارتكابهم للمعاصي.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[سورة البقرة، الآيتان: ٦، ٧]

ويقول تعالى: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾.

[سورة يس، الآيتان: ١٠، ١١]

ويقول تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

[سورة يونس، الآية: ٣٣]

وما ذلك إلا لعلم اللّه بنفوس خلقه، فلم يختم على قلوب هؤلاء المنكرين بالعشوائية أو بالانتقاء، فلو أن اللّه سبحانه يعلم أن في قلوب هؤلاء ذرةً من الإيمان لنمَّى هذه الذرة حتى تصبح جبلاً من الإيمان في قلوبهم، ولكن حتى هذه الذرة مفقودة من قلوبهم فيختم عليهم بالضلال وعدم الهداية.

يقول تعالى: ﴿ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٢٥]

فإذاً ختم اللّه على قلوب هؤلاء الضالين، وما أكثرهم في هذه الدنيا كما يقول تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١١٦]

هؤلاء يظنون أنفسهم أنهم على حق، وما يعتقدونه هو الحق وكل ما يفعلونه حق، وأنهم يحسنون صنعاً في كل عمل وفعل ورأي.

يقول تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾.

[سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤]

ثامناً ـ هؤلاء المفكرون لا يصدقون إلا ما يرون، وهذه حدود

عقولهم وإمكانياتها.. يريدون أن يكون الإله العظيم ضمن مفهومهم وقدراتهم العقلية.... فإن صح هذا فكيف يكون إلهاً وهو ضمن قدراتنا العقلية... فلا بد أن يكون الإله المعبود فوق قدراتنا وتصوراتنا وحتى تخيلاتنا، وأن لا يشبهه شيء وهذا ما أكده اللّه سبحانه في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

[سورة الشورى، الآية: ١١]

وأن يكون أمره لوجود أي شيء أن يقول له: كن فيكون، وهذا ما أكده اللّه في آيات كثيرة:

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

[سورة يس، الآية: ٨٢]

وأن يكون القاهر فوق عباده وهذا ما أوضحه اللّه سبحانه لنا:

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١٨]

وأن يكون فوق الجدال وفوق تصور العقول فهو شديد المحال لكل خلقه.

﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾.

[سورة الرعد، الآية: ١٣]

وأن تكون له صفات القدرة المطلقة والعلم المطلق والحكمة المطلقة والرحمة المطلقة.. وهذا كله أكده اللّه سبحانه.

وكيف تعرف اللّه وتؤمن به وبقدراته وعلمه وعظمته إن لم تتفكرْ في ملكوت السموات والأرض، وقد طلب اللّه سبحانه منّا

هذا، فإذا عرفنا عنها بعض العلم أدركنا من هو الإلٰه الذي نعبده ونثق به وبوعده الذي وعد وأقسم عليه، وأنه يحيي ويميت وأنه سيبعث من في القبور ليوم الفصل والقضاء.

يقول تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾.

[سورة الحج، الآيتان: ٦، ٧]

تنبيه وتعليق ورأي وتحليل:

كثيراً ما أتخيل أنني أعيش في هذه الدنيا أو يعيش كل الناس في هذه الدنيا وهم لا يعلمون شيئاً عن الآخرة، إذ أن اللّٰه سبحانه لم يرسل رسلاً أو ينزل كتباً... وهكذا يموت جيل ويرثه جيل آخر، لا إيمان ولا عقائد ولا هدف سوى الحياة الدنيا والنيل من متعتها وشهواتها وتحقيق رغبات النفس وكل انحرافاتها دون رادع أو خوف أو شعور بالمسؤولية أو الخوف من عقاب وحساب ومساءلة.

... أتصور أنني سأكون أتعس مخلوق على هذه الأرض، أو في هذا الكون.. وأحقر شيء في هذه الدنيا أن يعيش الإنسان بلا هدف ولا أمل ولا رؤية حقيقية لما يجري من حوله أو معرفة حقائق الأمور، ففي داخلي يبقى ـ حتى لو ملكت مُلكاً عظيماً وتمتعت بكل ما أستطيع وما أجد أمامي من متعة وحققت لنفسي كل رغباتها ـ أنني سأموت وأتحول إلى تراب كما مات غيري وتحول إلى تراب وأصبح منسياً ويطويني الزمان إلى أبد الآبدين... كم أتمنى أن أدخل في أعماق من يكون هكذا لا يؤمن

بالله ولا يؤمن باليوم الآخر ولا بالحساب ولا بالجزاء ولا بالجنة ولا بالنار.. يقول كما قال الأولون:

﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾.

[سورة الجاثية، الآية: ٢٤]

أو كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ * إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾.

[سورة الدخان، الآيتان: ٣٤، ٣٥]

... نعم أتمنى أن أدخل في أعماقه لأرى كيف أعماه شيطانه وتسلطت عليه نفسه الفاجرة وغلبت عليه شقوته، نعم لأعرف كيف تكون هذه النفس التي حَرَمَها اللَّه من رحمته جزاءً موافقاً لأعمالها فباءت بغضب وسخط من اللَّه سبحانه.. لأعرف كيف يمسه عذاب الرحمن فيكون للشيطان ولياً؟

يقول تعالى في آية عظيمة لها معان عميقة ذات دلالات واسعة وذلك على لسان إبراهيم مخاطباً أباه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾.

[سورة مريم، الآية: ٤٥]

نعم إن كل منكر للبعث والنشور والحساب بين يدي اللَّه هو الذي يعيش عذاباً نفسياً شديداً ومريراً، يلتجئ إلى تلبية رغبات الجسد وشهواته ليغطي أو ينسى هذه الآلام وهذا العذاب الذي يعيشه من داخل نفسه وكيانه.

... فأين يذهب هؤلاء؟ ألا يعلمون أن من أعظم الرحمة الإلٰهية أنه سيعيدنا مرة أخرى إلى الحياة الخالدة الأبدية في مقعد

صدقٍ عند مليك مقتدر لنعيش الأبد في رحمته، ألا يعلمون أن اللّه سبحانه خلقنا من رحمته ونعيش في الدنيا في رحمته... ويوم القيامة نعيش خالدين في رحمته.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[سورة آل عمران، الآيتان: ١٠٦، ١٠٧]

.. فأي نعيم ومتعة وراحة مهما عظمت وكثرت وطابت وليس لها صفة الديمومة، فلا قيمة لها طالما أنها ستنتهي وينتهي صاحبها ويتحول إلى تراب، فالنعيم الحقيقي فقط هو الذي يحمل صفة الخلود في جنات اللّه الخالدات، وهذا لا يكون إلا لمن آمن باللّه ورسوله واليوم الآخر وعمل له العمل الصالح الذي يرضي اللّه سبحانه... ولا راحة نفسية ولا جسدية ولا عقلية ولا فكرية إلا مع الإيمان والطاعة والعمل لما بعد الدنيا الزائلة الفانية.

وأخيراً يجب أن نعلم جميعاً أن اللّه سبحانه نفى عن نفسه صفة العبث واللعب، وحاشا للّه الذي كتب على نفسه الرحمة أن يخلقنا عبثاً ولعباً، ويتركنا هكذا نموت بدون هدف ولا رجاء ولا أمل ولا رحمة من اللّه سبحانه، وحتى لا يكون تقويل للقائلين ولا مجال لمشككين، ولا افتراء للمفترين، ولا ادّعاء للمدعين.

يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآيتان: ١٦، ١٧]

ويقول تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾.

[سورة المؤمنون، الآية: ١١٥]

ويقول تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾.

[سورة القيامة، الآيات: ٣٦ ـ ٤٠]

فكل ما يحيط بنا من خلق السموات والأرض وما بُثَّ فيهما من دابة، وكل ذرة من ذرات هذا الكون تشير إلى نهاية هذا الوجود كله، كذلك قال علماء الفلك: كل شيء آيل إلى نهاية.. وطالما أن النهاية حتمية هذا الوجود، فلا بد من بداية جديدة وعهد جديد.. وهل الشر والخير واحد؟ وهل العمل الصالح والسَّيِّئ واحد؟ وهل من يقترف الحسنات مثل الذي يقترف السيئات؟ وهل من المنطق والعدل أن يذهب سدى من يعمل الخير ومن يعمل الشر؟ وهل هذه نواميس الوجود وحقيقة الكون؟

... قبل بعثة رسول اللَّه ﷺ وفي العصر الجاهلي أو عصر الفترة ما بين عيسى عليه السلام ورسول اللَّه ﷺ.. توفي رجلان في يوم واحد أحدهما كان بمنتهى الشر والآخر تشهد له الناس بالحكمة والعقل والخير.. وقف زعيم القبيلة لحظة دفنهما ونظر إلى السماء وقال: أنا لا أعرف ولا أعلم ولكن لا أظن أن هذين الرجلين سيذهبان سدى، هذا بخيره وهذا بشره... هذا الرجل رغم أنه كان من أهل الفترة على الشرك إلا أن عقله أوصله إلى أن هناك حقيقة لا يعرفها ولكن لا بد من وجودها.. نعم إنها حقيقة

البعث والنشور والحساب... نعم لن يذهب هذان الرجلان سدى، ولا بد من عودتهما وحسابهما لكمال الحق الإلٰهي والعدل الإلٰهي، وقد بيَّن اللَّه سبحانه لنا أن هذا لن يكون ولن يذهب صاحب الشر وصاحب الخير سدى، فهما لا يتساويان عند اللَّه سبحانه.

يقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

[سورة الجاثية، الآية: ٢١]

ويقول تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَـٰتِبُونَ * وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآيتان: ٩٤، ٩٥]

هذا هو عدل اللَّه فلتطمئن كل القلوب المؤمنة أنه لا كفران لسعيهم، وأنهم ملاقو أرحم الراحمين الذي لا يضيع عنده مثقال ذرة من خير في ميزان العدل الإلٰهي.

كيف يخرج الناس من القبور؟ ومن هو أول من ينشق عنه القبر؟

وصف تلك الحالة ليس بالأمر الهيِّن، ووضع الناس يومئذ عسير. يقول تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾.

[سورة المدثر، الآيات: ٨ ـ ١٠]

وقلت فيما سبق: إن اللحظات الأولى للبعث والخروج من القبور صعبة على الناس جميعاً، ولكن سرعان ما يطمئن المؤمنون الصالحون العاملون بما يرضي اللَّه سبحانه.. ففي كل مرحلة من مراحل يوم القيامة يرسل اللَّه بقدرته ملائكة تطمئن عباده المؤمنين لئلا يصابوا بالخوف والهلع والرعب. وهذا من رحمة اللَّه وعدله فمن خافه في الدنيا أمّنه في الآخرة. يقول تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

[سورة الأنبياء، الآية: ١٠٣]

.... فاللَّه سبحانه حدد عُسر هذا اليوم على الكافرين فهو غير يسير عليهم، وكذلك على العصاة والطغاة والظلمة وإن كانوا من أمة محمد ﷺ.

فإنهم يخرجون من الأجداث سراعاً أذلّاء خاشعة أبصارهم يصرخون: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ـ أي من قبورنا.. هذا ما

وعدكم الرحمن به وكذبتم به واستكبرتم على اللَّه، فقد جاءكم ما كنتم تستعجلون به، وهذا أول الذل والمهانة فقد بدأ عذابكم وهذه أول ساعة منه.

.... نعم يخرج الناس من قبورهم مؤمنهم وكافرهم حفاة عراة غرلاً، على أرض قد مدَّت مد الأديم (الجلد) فلا أثر ولا علم ولا جبل ولا تلَّة ولا مرتفع ولو قدرَ قِيد أنملة، يستطيعون أن يصعدوا عليه ليروا ما حولهم أو ما أمامهم وما خلفهم. ليس بأيديهم شيء ولا يملكون أي شيء يستطيعون أن يفعلوا به أي شيء، لقد تبدَّلت معالم كل شيء وليس من شيء يعرفونه، لقد انتهى امتحانكم أيها الناس في الدنيا وتوقف عن العطاء كل ما أمر اللَّه سبحانه في الدنيا أن يعطيكم ويستجيب لكم.. إنهم يقفون على أرض ملساء صُلبة لا تتفتت ولا تستجيب لهم ولا يملكون إلا أجسامهم العارية حتى من قطعة لباس.

ـ عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنكم ملاقو اللَّه حفاة عراة غرلاً**»(١).

فلا معول يحفِرون به الأرض ولا عصا يتكئون عليها ولا صخرة يرتفعون عليها ولا ملك يُنصب له المقام والعرش ولا أمير يأمر ولا خفير يستجيب ولا سيد يُوَزَّع له في المقام ولا عبد يضرب من سيده ويهان.. كل ليس له أكثر من موضع قدميه، فلا تجد إلا أجساداً عارية تكاد تتلاصق ورؤوساً تزدحم، ليس لهم من الأمر شيء ولا لأحد من خلق اللَّه لا من ملك مقرب ولا رسول ولا نبي منتخب، فالأمر يومئذ للَّه وحده.

(١) رواه البخاري كتاب الجنة ونعيمها رقم الحديث ٢٨٦٠.

﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ .

[سورة الانفطار، الآية: ١٩]

هذه حال الناس يوم يدعوهم اللّٰه سبحانه فيستجيبون بحمده، لا يستطيع أحد أن يتخلف عن هذه الدعوة وكل أتوه صاغرين.

﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

[سورة الإسراء، الآية: ٥٢]

. . . . فإذا ما انشقت القبور وخرج الناس سراعاً استجابة لأمر اللّٰه فإن أول من ينشق عنه القبر رسول اللّٰه ﷺ.

ـ عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: « **أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع . . وأول مشفع** »(١) .

وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال: « **استبَّ رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً على العالمين، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم اليهودي، فذهب اليهودي إلى رسول اللّٰه ﷺ فأخبره الذي كان من أمره وأمر المسلم، فقال: لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق، أو كان ممن استثنى اللّٰه عز وجل** »(٢) .

. . فإذا ما انشق القبر عن رسول اللّٰه ﷺ « **يسأل جبريل عليه السلام ويكون عنده في هذه الساعة العظيمة ـ ماذا فعل اللّٰه بأمتي يا جبريل**

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل رقم الحديث ٢٢٧٨.

(٢) جامع الأصول (٨/ ٥١٣) رقم الحديث ٦٣٠٨.

فيقول له جبريل: أنت أول من تنشق عنه الأرض» ثم تبدأ الأرض تتشقق بسرعة كبيرة عن الصالحين الأول فالأول.

ـ عن ابن عمر رضي اللّٰه عنهما قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: «**أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين**»[(١)].

وإكراماً من اللّٰه سبحانه لهذه الأمة المحمدية فإن كل إنسان يبعث على ما مات عليه، فإن مات حاجاً بعث وهو يقول: (لبيك اللّٰهم لبيك)، وإن مات شهيداً فإنه يبعث يوم القيامة جرحه يثعب، اللون لون الدم والريح ريح المسك.... ومن هنا يستحب أن يلقن الميت لا إلٰه إلا اللّٰه حتى يبعث عليها يوم القيامة فيخرج من قبره وهو يقول: لا إلٰه إلا اللّٰه.. ذلك ما جاء في الحديث الشريف:

ـ عن معاذ بن جبل قال: قال رسول اللّٰه ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إلٰه إلا اللّٰه دخل الجنة**».

[رواه أبو داود برقم ٣١١٦]

ـ عن عبد اللّٰه بن عباس قال: إن رجلاً كان مع النبي ﷺ فوقصته نافته وهو محرم فمات، فقال رسول اللّٰه ﷺ: «**اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه ولا تمسوه بطيب ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً**»[(٢)].

ما معنى قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾؟؟

[سورة النازعات، الآية: ٤٦]

الذين تقوم عليهم الساعة هم جزء يسير من البشر،

---

(١) رواه الترمذي في سننه وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم ـ مختصر مسلم ـ للمنذري.

يُشهدهم اللَّه سبحانه وتعالى لشديد كفرهم ومعاصيهم وضلالهم انفجار السموات وتشققها وانكدار النجوم وكذلك زَلزلة الأرض وتسجير البحار وانفجارها. . . وفي هذه المشاهد من الرعب والخوف والهلع الذي يصيب هؤلاء الذين تقوم عليهم الساعة ما لا يعلمه إلا اللَّه سبحانه، جزاء وفاقاً لما اقترفته أيديهم وأرجلهم وألسنتهم وأجسادهم من الكفر والمعاصي، حتى إن رسول اللَّه ﷺ وصفهم كما تقدم من أحاديث شريفة بحثالة البشر التي تشبه حثالة الشعير، وكذلك وصفهم بشرار خلق اللَّه سبحانه لا يقرون معروفاً ولا ينكرون منكراً يعبدون الأوثان وهم من أشد الناس كفراً وشركاً ومعصية.

. . . ثم يميتهم اللَّه سبحانه من جراء نفخة الصعق وهي النفخة الأولى التي تميت كل خلق اللَّه في السموات والأرض إلا من يشاء اللَّه، وكل ذلك تقدم الحديث عنه.

ثم يكون الزمن ما بين النفختين نفخة الصعق ونفخة البعث أربعين يوماً أو شهراً أو سنة كما في الحديث، ثم يبعث اللَّه الخلق جميعاً بنفخة البعث وهي النفخة الثانية. . . نعم يبعثهم جميعاً الكافرين والمشركين والمؤمنين والطائعين والعاصين. . جميعهم يخرجون من أجداثهم سراعاً. . وقد وصف اللَّه سبحانه هذا الحشر بأنه يسير عليه وهيِّن وأهون من خلق الناس.

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾.

[سورة ق، الآية: ٤٤]

ويبدأ البشر بالخروج من القبور ومجاهل الأرض فيبهتون بما يرون، ويُفاجؤون بما حولهم، إذ الأرض غير الأرض والحال غير

الحال، وما حولهم لا علاقة له بما كانوا عليه في حياتهم الدنيا، وما كان قولهم إلا أن قالوا: ﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾.

[سورة يس، الآية: ٥٢]

إنها الطامة الكبرى وبداية عذاب لا نهاية له إلا من رحم اللَّه من المؤمنين الصالحين... في هذه اللحظات الحاسمة تتضاءل الحياة الدنيا التي عاشها الكافرون والمشركون والضالون والعصاة.. كل النعيم الذي عاشوا فيه صغُر وتضاءل حتى أصبح لا يساوي أكثر من ساعة من الزمن.... حيث في ساعات الألم والفزع والخوف لم يعد للنعيم إلا ذكريات قصيرة الزمن، حتى لو عاشوا أمداً طويلاً في الحياة الدنيا الفانية.

يقول تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا * فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ * إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ * إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا * كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾.

[سورة النازعات، الآيات: ٤٢ ـ ٤٦]

فاللَّه سبحانه أعلم بخلقه وأعلم بما خلق وأعلم بنفوسهم جميعاً، وأعلم بما سيكون عليهم حالهم وشعورهم عند قيام الساعة وعند البعث والنشور وعند الوقوف في أرض المحشر وعند العرض على اللَّه سبحانه.

ومن علم اللَّه سبحانه صور لنا في آيات قرآنية كريمة، مما سيأتي الحديث عنه عند الحديث عن مواقف يوم القيامة.. ما سيكون عليه الناس يوم القيامة وكيف يحدثون بعضهم عند الخوف والفزع والعذاب في أرض المحشر، وما الآية القرآنية الكريمة إلا أحد هذه التصورات البشرية التي يكون عليها حالهم عند البعث والنشور. فهي

تصوير حي من عليم خبير. . . . فمن دقة علم اللّه سبحانه بالإنسان أنه يعلم ما توسوس به نفسه:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ .

[سورة ق، الآية: ١٦]

. . وفي آيات أخرى يصور اللّه سبحانه لنا ما يقوله المجرمون والمشركون والكافرون عند قيام الساعة وعند البعث والنشور.

يقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴾ .

[سورة الروم، الآية: ٥٥]

وأمّا قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ مَا لَبِثُوا۟ ﴾ .

ليست هي فقط للزمن الذي عاشوا فيه في حياتهم الدنيا، بل مدة لبثهم في حياتهم الدنيا مع مدة لبثهم في برزخهم (قبورهم) حتى لو كانت عشرة آلاف سنة. . . فكل هذا الزمن الذي عاشوا فيه، وما مضى في برزخهم عند قيامهم من قبورهم ومشاهدتهم وعد اللّه الحق. . كأن لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها في آية كريمة. . وفي آية لم يلبثوا إلا ساعة من نهار.

. . . ولكي ندرك معنى قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ .

نقول: مثلاً رجل عاش خمسين سنة أو ستين سنة في نعيم منقطع النظير توفرت له في حياته كل وسائل المُتعة والرفاهية. . . وفي يوم كان في رحلة بالطائرة فحدث فيها عطل مفاجئ، هوت على أثره فوق صحراءَ قاحلةٍ، مات الجميع ولم يبق إلا هو. . . وحيث سقط لم يكن هناك إلا الصحراء برمالها الصفراء وأشعة الشمس التي تلفح

الوجوه والرؤوس بحرارتها، حيث لا ظلَّ يستظل به ولا ماء ولا طعام ولا مأوى ولا أمل في نجاة، وبعد أن تتقطع أمعاؤه جوعاً ويحترق جوفه وحلقه وفمه عطشاً... وهو في هذه الحالة المؤلمة الفظيعة كم يتمثل له يومئذ زمن حياة الترف والنعيم التي عاشها وعلى طول ستين عاماً؟؟

... نعم لا تمثل له ولا النعيم الذي كان عليه إلا وهماً وسراباً وخيالاً لا يتجاوز ساعة من نهار.

... فإذا كانت هذه حالَهُ وهو في الحياة الدنيا... فكيف تكون حاله إذا جاءت الطامة الكبرى وجاءه العذاب وجاءه الموت من كل مكان وما هو بميت، لا شفيع ولا نصير ولا أمل من نجاة، وهو يعلم عندئذ حق العلم أن ما هو آت أشد بمرات كثيرة لما هو عليه، عند البعث والنشور وعند قيام الساعة.

.. وكذلك يفعل الكافرون والمجرمون عندما يجمعهم اللّه سبحانه في أرض المحشر يوم القيامة ـ يتساءلون ـ ويقسمون ـ ويحسون ويدركون ويقولون فيما بينهم إنهم ما لبثوا في الأرض إلا ساعة من نهار.. وهذا سيأتي بيانه عند الحديث عن يوم القيامة وأهواله وأحداثه الجسام العظام....

هل تتغير الأجساد عند بعثها وخروجها من القبور (الأجداث)؟

قلنا في فِقرات سابقة: إن كل شيء يفنى من ابن آدم بعد موته إلا (عجب الذنب) الذي تتركب منه الخلائق بعد نفخة الصعق الأولى. وللتذكير بحديث رسول اللَّه ﷺ.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون**» قالوا لأبي هريرة: أربعون يوماً؟ قال: أبيت، (أي لا أجزم بذلك) قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت، «**ثم ينزل اللَّه من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة**»(١).

ففي عَجْبِ الذَّنَبِ صفات الإنسان (فلان) مضغوطة تماماً كما نجمع اليوم آلاف المعلومات في ميكروفيلم لا يتجاوز سنتيمترات أو نجمع مئات الكتب على (سي دي)، وعندما تريد أن تقرأ عن أي معلومة أو كتاب لتكشف كل ما فيه تضع السي دي في الكمبيوتر وخلال ثوان تكون المعلومات أمامك على الشاشة وهذا صناعة الإنسان!!. فكيف يكون خلق اللَّه وصبغته؟.. هذا العجب من الذنب مبرمج ومشفر كل إنسان بداخله (كأنه سِي دي حجمه

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

ربع سم) فيه المعلومات الكاملة عن هذا الإنسان.. وكل واحد له عجب ذنب لا يفنى يبقى مع التراب حتى يرسل اللَّه سبحانه الأرواح إلى تلك الأجساد فتقوم واقفة بإذن اللَّه تعالى... كل هذا قلناه وقدمنا عنه.. ولكن سقناه من أجل أن تقول... إن معلومات الإنسان المشفرة بداخل عجب الذنب كاملة لا نقصان فيها وكذلك لا مرض ولا فيروس فيها.. فإذا ما نبت جسد الإنسان من ماء الطَّل ينبت كاملاً.. فمن مات وقد نقصت ساقه تعود إليه ساقه عند البعث. ومن فقد عقله ـ كذلك ـ ومن فقد يده كذلك ومن أجريت له عملية كلية أو نزع أي عضو من جسده فإنه يعود إليه، ففي لحظة البعث والخروج من القبور والأجداث ومجاهل الأرض نخرج سليمين معافين لا ينقصنا من أجسادنا شيء أبداً ولكن يبقى السؤال؟

... في حياتنا الدنيا لا نستطيع أن نرى الملائكة ولا الجن ولا كثيراً ممَّا أخفي عنا بأمر اللَّه سبحانه، ومن خلقنا الفيزيولوجي، فأجسادنا في الدنيا لا تستطيع عجزاً وقصوراً في تركيبها ونسجها وقدرتها أن ترى بعض الغيب والملائكة والجن.

... فالجن بخلقهم الفيزيولوجي يستطيعون أن يروا الناس في الحياة الدنيا والإنسان لا يستطيع أن يراهم، وهذا ما ورد ذكره في القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

[سورة الأعراف، الآية: ٢٧]

. . . وعند البعث والنشور تتغير القوانين . . فقوانين الدنيا زالت وبدأت قوانين ونواميس وشؤون الآخرة. . . وأول هذه القوانين والنواميس تغيراً هي فيزيولوجية الإنسان. . . فالذي لم يكن يراه كشف عنه الغطاء فصار بصره حديداً يرى يومئذ جميع خلق اللَّه تعالى والتي كانت محجوبة عنه في الدنيا.

وقد بيَّن اللَّه سبحانه لنا هذا في كتابه الكريم، وأن أول التغير يحصل في قدرة الإبصار، فاللَّه بيده الخلق وبيده العلم، ففي نسيج عجب الذنب الذي تنبت منه الأجساد تكون فيزيولوجية العين بكامل قوتها وقدراتها التي تستطيع أن ترى يومئذ ما حولها من الملائكة والجن. . أما في الدنيا عندما كنا لا نرى فإن اللَّه سبحانه قد نزع من العين شيئاً وهو أعلم بخلقه حتى يحجب عنها رؤية بعض الغيب ومنه رؤية الملائكة والجن.

يقول تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ * وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ * لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾.

[سورة ق، الآية: ١٩ ـ ٢٢]

ما أعظم هذه الآيات الكريمة! وما أجملها! وما أروعها. . إنها تحكي وبإيجاز رائع قصة الموت والنفخ في الصور والحشر الذي يساق إليه الناس عن طريق السائق والشهيد، ويتحدث اللَّه سبحانه عن غفلة الناس عن هذا اليوم وعن هذه الساعة العصيبة العسيرة على الضالين، ثم يتحدث اللَّه سبحانه عن تغير معالم الجسد الإنساني في كشف الغطاء عن هذا البصر، حتى يشاهد

يومئذ ما أخفاه اللَّه عنه في الدنيا لضرورة الامتحان والابتلاء، وفي رؤيتهم يومئذ حَمْد وشكر للَّه من المؤمنين، وعذاب وألم للكافرين، لأنهم يصطدمون ويُفاجؤون بالحقائق التي أنكروها.

يقول تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾.

[سورة النحل، الآية: ٩٣]

. . . إذاً أول التغيير تغيير في فيزيولوجية البصر، إذ يتحول بقدرة اللَّه فتكون له قوة كبيرة جداً بحيث يرى فيها كل شيء أخفاه اللَّه عنا. . . . هذا هو التغيير الجسدي الحاصل عند قيام الناس من قبورهم لرب العالمين.

وللسائل أن يسأل. . إن اللَّه سبحانه يقول في سورة الواقعة:

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۞ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

[سورة الواقعة، الآيات: ٦٠ ـ ٦٢]

فالآيات تشير إلى نشأة أخرى وخلق آخر للإنسان وليس مقتصراً على البصر فقط؟؟؟

نقول وباللَّه العون. . إن اللَّه سبحانه لما تحدث في سورة ق كما أوردت من آيات ـ تحدث عن الموت ثم النفخ في الصور ثم الحشر ثم كشف الغطاء ثم البصر الحديد. . فهذا التغيير الأول يكون عند الخروج من الأجداث (القبور) ويبقى هذا التغيير طوال يوم القيامة. . ولكن قوله تعالى: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فهو حاصل والعلم عند اللَّه عند حشر الناس في أرض المحشر، التي يجمع اللَّه فيها الأولين والآخِرين إنساً وجناً وطيراً ووحشاً. . . ثم

يجمع ملائكته عليهم السلام. عند ذلك يتغير الجسد وتتغير فيزيولوجية خلقه وتتم النشأة الأخرى لتتناسب مع يوم القيامة كله ومع الجنة ومع النار، وهذا سيتم الحديث عنه في حينه. . . . المهم هنا أن التغير الجسدي بعد البعث يتم في البصر فقط كما دلت عليه الآيات الكريمة والله أعلم.

هل يبعث وينشر الجن والوحش مع الإنسان عند نفخة البعث

. . . الذي تشير إليه الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة أنهم ينشرون كما ينشر الإنسان، فهم ممن تشملهم آية النفخ في الصور (الإماتة) والنفخة الأخرى (الإحياء).

يقول تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾.

[سورة الزمر، الآية: ٦٨]

فهذه الآية الكريمة تشمل كل الخلائق في الأرض وفي السموات وليست هي مخصوصة بالإنسان وحده.. وهذا يعني أنها تشمل الجن وتشمل الوحش والطير.

ومما يؤكد حشر الوحوش جميعاً الآية الكريمة من سورة التكوير وهي في سياق الحديث عما يحدث عند قيام الساعة من تكوير الشمس وانكدار النجوم وتسيير الجبال وتعطيل العشار وحشر الوحوش وتسجير البحار.

يقول تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ * وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾.

[سورة التكوير، الآيات: ١ ـ ٧]

فقوله: ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ أتت في سياق آيات لحظة قيام الساعة، وهذا مما يؤكد تأكيداً مطلقاً على حشرها ونشرها وبعثها مع الإنسان.

وكذلك مما يؤكد حشرها قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ٣٨]

كل خلق اللَّه سبحانه، خلقهم أمماً لها كيانها ووجودها وطريقتها في الحياة، خلقها اللَّه سبحانه بمنتهى الدقة والقدرة والعلم، صغرت كالنمل أو كبرت كالفيلة ضعفت كالفراش أو قويت كالنسور. . . وكلها تسبح بحمد ربها دون استثناء لأمة منها أبداً.

يقول تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٤٤]

وكذلك دلت أحاديث رسول اللَّه ﷺ على حشر الوحوش (الحيوانات) كلها أليفها ووحشها وطيرها.

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد ـ أي يقتص ـ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»(١).

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يقتص**

(١) رواه مسلم في صحيحه.

للخلق بعضهم من بعض حتى للجمَّاء من القرناء وحتى للذرة من الذرة»[(١)].

وأما بعث الجن ونشرهم وحشرهم فهذا أيضاً مؤكد، ودليله الصحيح من الآيات القرآنية الكريمة التي تؤكد حشر الجن مع الإنس والوحش.

يقول تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾.

[سورة مريم، الآية: ٦٨]

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾.

[سورة الأنعام، الآية: ١٢٨]

وهذه الآيات الكريمة تدل دلالة واضحة على حشر الجن وحسابهم كما يحاسب الإنس، ويقفون بين يدي اللّه تعالى كما يقف الإنس بل اللّه يجمعهم يوم القيامة مع بعضهم ويسألهم عما جرى بينهم في الدنيا من التضليل والإغواء ومن الاستمتاع والانتفاع على الوجه المحرم.

وأما استمتاع الإنس بالجن فهو ما كانوا يلقون إليهم من استراق السمع والسحر والكهانة وتزيينهم الأمور التي كانوا يهوونها.. واستمتاع الجن بالإنس هو طاعة الإنس للجن في المعاصي والكفر والضلالة والغواية والفساد.

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ورواته رواة الصحيح كما في الترغيب.

إذا بعث الناس ونشروا وحشروا على أرض الدنيا فهل يأكلون ويشربون؟

... بعث الناس وحشرهم على أرض الدنيا... فهذه كما قدمت حالة مؤقتة ليست دائمة وليست طويلة... فإذا ما اكتمل الحشر وجمعت الخلائق من إنس وجن ووحش وطير ينقلهم اللّه فيكونون جميعاً على أرض المحشر مع بداية يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾.

[سورة النازعات، الآيتان: ١٣، ١٤]

وسيأتي بيان وتفسير هاتين الآيتين الكريمتين من سورة النازعات في الجزء السادس من الموسوعة عندما نتحدث عن بداية يوم القيامة وأرض المحشر.

فإذا ما أصبحت الخلائق على أرض المحشر يختلف الأمر اختلافاً كثيراً حيث يطول هناك أمر الوقوف حتى يكون خمسين ألف سنة وهو كامل يوم القيامة.

يقول تعالى: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾.

[سورة المعارج، الآية: ٤]

في هذا اليوم العظيم الطويل يتحدث رسول اللّه ﷺ عن

موضوع الأكل والشرب في هذا اليوم (يوم القيامة) والناس يومئذ على أصناف ثلاثة ـ المؤمنون ـ والعصاة من المؤمنين ـ والكافرون والمشركون ولكل صنف وفئة وضع خاص في هذا الأمر..

سوف نتحدث عنه بإذن اللَّه تعالى عند الحديث في الجزء السادس والسابع من هذه الموسوعة.... ونبيِّن كيف يأكل الناس ويشربون في يوم القيامة كما دلنا على ذلك رسول اللَّه ﷺ.

... المهم أن الناس عند قيامهم لرب العالمين، وعند بعثهم ونشرهم تكون الحالة مؤقتة، ولم يرد عن طعامهم وشرابهم شيءٌ..

وأظن والعلم عند اللَّه سبحانه أنه في هذا النشر والحشر على أرض الدنيا لا يوجد طعام ولا شراب إنما انتظار وخوف وهلع، وترقب وانتظار لما سيكون بعد ذلك واللَّه أعلم.

بعث وحشر الزمان والمكان (الأيام، والأرض)

من عظيم قدرة اللَّه سبحانه ولاكتمال عدله وحكمته يبعث الأيام على هيئتها التي عاشت فيها الخلائق ـ ويبعث الأرض التي عاش عليها الخلق.. ليكون الزمان والمكان شاهدين على أعمال الناس... وهذا لا يمكن أن تدركه عقولنا... وكيف تدرك عقولنا قدرة اللَّه سبحانه وهو القائل:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

فكيف تشهد علينا الأيام؟.. وكيف تشهد علينا الأرض؟ فهذا الأمر للَّه. المهم ستشهد الأرض على أعمالنا يوم القيامة، ولا أحد يستطيع أن ينكر ما تشهد الأرض على ما فعله الإنسان فوقها، ولا ينكر أحد ما تشهد عليه الأيام والليالي وما فعل فيها من خير وشر.. وهنا تكمن مطلقية العدل الإلٰهي وتحقيق الشهود على العمل كي لا يكون للإنسان أو الجن حجة على اللَّه سبحانه.

فالإنسان ومهما استخفى بالليل أو بالنهار أو دارى نفسه في الأرض فهي شاهدة عليه، وله معقبات من بين يديه

ومن خلفه أي ملائكة، يقول تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ * سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ * لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾.

[سورة الرعد، الآيات: ٩ ـ ١١]

وقال تعالى إخباراً عن الأرض يوم القيامة:

﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾.

[سورة الزلزلة، الآية: ٤]

قال أبو هريرة: قرأ رسول اللَّه ﷺ هذه الآية ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ قال: «**أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: اللَّه ورسوله أعلم، قال: أن تشهد على كل عبد وأمة ـ أي على كل ذكر أو أنثى ـ بما عمل على ظهرها، تقول: «عملت يوم كذا كذا فهذه أخبارها**»(١).

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يسمع صوت المؤذن شجر ولا مدر ولا حجر ولا جن ولا إنس إلا شهد له**» وفي رواية أبي داود:

«**يشهد له كل رطب ويابس**»(٢).

عن عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أن أبا سعيد رضي اللَّه عنه قال له: «**أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت في غنمك وباديتك فأذنت للصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا**

(١) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه وأبو داود.

يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة» . قال أبو سعيد: سمعته من رسول اللَّه ﷺ، ورواه مالك والنسائي وابن ماجه وزاد: «**ولا حجر ولا شجر إلا شهد له**»[١] .

---

(١) رواه البخاري ومالك والنسائي وابن ماجه.

حشر يوم الجمعة وفيه (صلاة الجمعة) أعظم الأيام عند اللَّه سبحانه

. . . يوم الجمعة من أعظم الأيام عند اللَّه سبحانه ولا يعدله يوم في السنة كلها إلا يوم عرفة. . . ولعظيم مقامه عند اللَّه سبحانه أنه تعالى خصهُ في القرآن الكريم بسورة كاملة أسماها (سورةَ الجمعة).

حيث يبدأ هذا اليوم ومنذ صلاة الفجر بالخير والبركة والأجر العظيم من اللَّه سبحانه.

يقول رسول اللَّه ﷺ:

ـ عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« أفضل الصلوات صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة »(١).

ثم جعل اللَّه سبحانه فيه صلاة الجمعة التي عظمها في كتابه وعظم أجرها وفاعلها، يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة الجمعة، الآية: ٩]

وقد تحدث رسول اللَّه ﷺ عن فضل يوم الجمعة وعن فضل صلاة الجمعة في كثير من الأحاديث الشريفة. .

---

(١) رواه البيهقي وأبو نعيم وذكره السيوطي في الجامع الصغير وقال عنه: حديث صحيح.

ـ عن أوس بن أبي أوس رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة. فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ، إن اللَّه حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»(١).

ـ عن أوس بن أوس قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها»(٢).

ـ وكثيرة هي الأحاديث الشريفة عن الجمعة وفضلها وفضل وثواب العبادة والطاعة فيها، لهذا فإن اللّه سبحانه يأتي بها يوم القيامة بزمانها وهيئتها. . . . أما كيف فهذا علمه عند اللّه سبحانه ونكرر ما قاله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[سورة الإسراء، الآية: ٨٥]

ـ عن أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ:

«تحشر الأيام على هيئتها وتحشر الجمعة زهراء منيرة، أهلها يحفون بها كالعروس تُهدى إلى خِدرها تضيء لهم يمشون في ضوئها، ألوانهم كالثلج بياضاً وريحهم كالمسك، يخوضون في جبال الكافور، وينظر إليهم الثقلان أي لا يطرفون ـ أي لا يدعون النظر إليها ـ تعجباً

---

(١) رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم، وذكره السيوطي في الجامع الصغير.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده برقم ١٦٢٦٩، وكذلك رواه الدارمي والطبراني في المعجم الكبير.

حتى يدخلوا الجنة لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتسبون»[١] .

. . . . فكيف لا يتعلق بها المؤمنون الذين كانوا من أهل الجمع ومن أهل المحافظة عليها والتبكير إليها استجابة للّه سبحانه وتعالى؟ . . وكيف هي لا تكرمهم وقد وعد اللّه سبحانه بهذا الإكرام العظيم لأهل الجمع وأهل صلاة الجمعة ومن كانوا على طاعة مع اللّه سبحانه .

. . . . وهذا الحديث يدل أن الأيام ستأتي يوم القيامة كما يأتي اللّه بالمكان ليكونا معاً شاهدين على أعمال ابن آدم في الأرض خيراً كان أو شراً.

(١) قال الحافظ المنذري ـ رواه الطبراني وابن خزيمة في صحيحه.

البعث والنشور والقيامة عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى

لا يملك أهل الكتاب من النصارى واليهود هذه التفاصيل الدقيقة عن البعث والنشور ويوم القيامة والحساب والجنة والنار كتلك التي يملكها المسلمون عن طريق كتاب اللّه تعالى القرآن الكريم وأحاديث رسول اللّه ﷺ.

. . . . فالنصارى يؤمنون بالبعث والقيامة وحتى الجنة والنار، ولكن يعتقدون أن الذي يعذب أو ينعم هو الروح فحسب وليس الجسد، وعليه فإنه لا يوجد عندهم في الجنة طعام ولا شراب ولا حور عين ولا غلمان طالما أن الروح هي التي تنعم دون الجسد، ولنا جولة سريعة في الأسفار والأناجيل لنتعرف على قول بعضها في خصوص البعث والنشور.

١ ـ في إنجيل متَّى يقول: «**فإن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك، خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى في النار الأبدية ولك يدان أو رجلان**» الفِقرة ٨ من الإصحاح الثامن عشر من إنجيل متى.

٢ ـ وفي إنجيل لوقا إشارة إلى عذاب القبر، فقد جاء فيه: «**ومات الغني ودفن فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب، فالمقبور من أهل الفجور يكون في العذاب ويرى مقعده من النار والهاوية في**

النار» الفقرة ٢٢ من الإصحاح السادس من إنجيل لوقا.

٣ ـ وأما إنجيل برنابا: فهو من أكثر الكتب التي تحدثت عن الجنة والنار... فقد ذكر أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتبولون ولا يتغوطون لأن طعامهم وشرابهم ليس فيه خبث ولا فساد ولكن النصارى يكذّبون بهذا الإنجيل لأنه يخالف أناجيلهم.

وأما في الأسفار.. فقد ذكر ببعض نصوصها الحياة الأبدية والحشر والبعث.

١ ـ في سِفر المزامير.. يذكر الحشر إلى النار فيقول: **«مثل الغنم إلى النار يساقون ـ الموت يرعاهم، ويسورهم المستقيمون غداة وصورتهم تبلى والهاوية مسكن لهم»** الفقرة (٥) من المزمور ـ ٥٥ ـ.

٢ ـ في سفر دانيال يقول: **«كثيرون من الراقدين تحت التراب يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار والازدراء الأبدي»**. الإصحاح ١٢ من سفر دانيال.

... وتصور أن التوراة التي تنسب إلى موسى لا تجد فيها إلا نصًّا واحداً يصرح بيوم القيامة:

«أليس هو مجموعاً عندي مختوماً في خزائني إلى يوم الانتقام والمكافأة وقت تزل أقدامهم». الإصحاح الثاني والثلاثون من التوراة السامرية.

... وأما في التوراة العبدانية ففيها نص يقول: **«أليس ذلك مكنوزاً عندي مختوماً عليه في خزائني، عند نفخة الجزاء في وقت تزلّ أقدامهم»**.

... وأما عند اليهود فهم على قسمين... قسم لا يؤمن بالبعث والنشور وهؤلاء هم (الصادقيّون) والعجب أن هؤلاء هم الذين يؤمنون بتوراة موسى فقط فحجتهم أن التوراة لا تدل دلالة قطعية وكافية وواضحة على البعث والنشور، والقسم الثاني من اليهود الذين يؤمنون بالبعث والنشور يسمون (بحزب الكتبة).

... وقد ذكر إنجيل متى أن الطائفة المكذبة بالقيامة جاؤوا إلى عيسى وجادلوه في القيامة.... يقول إنجيل متى: «**في ذلك اليوم جاء إليه الصادقيون الذين يقولون لا قيامة**». وأجاب عيسى عن سؤال أحد تلامذته القائل: «**أيذهب جسدنا الذي لنا إلى الجنة؟**» فقال عيسى عليه السلام: «**احذر يا بطرس من أن تصير صدوقياً، فإن الصدوقيين يقولون: إن الجسد لا يقوم أيضاً، وإنه لا توجد ملائكة، لذلك حرم على جسدهم وروحهم دخول الجنة**»[1]. إنجيل متى الإصحاح ٢٢ فقرة ٣٣.

وهكذا نجد أن النصوص عندهم التي تتحدث عن اليوم الآخر والبعث والنشور والموت والحساب والعقاب والجنة والنار نادرة جداً والنادر لا حكم له وإنما الحكم للغالب.. وما أرسل اللّه سبحانه أنبياءه جميعاً إلا ليحذروا الناس من اليوم الآخر ليستعدوا بالعمل والصلاة والطاعة، فأين ذهبت هذه الآيات التي أرسلها اللّه وأنزلها مع كتبه جميعاً وعلى لسان جميع الأنبياء تتحدث عن اليوم الآخر وملاقاة اللّه تعالى والوقوف بين يديه للحساب؟ ـ أين هذه الآيات التي

(١) د. عمر سليمان الأشقر ـ القيامة الكبرى ص٩٤.

تتحدث عن الموت والبعث والساعة والنشور؟ . . . فهل كل ما ذكره اللَّه في كتبه عن القيامة هو بعض آيات لا تتجاوز أصابع اليد عدداً . . ربما ذهبت في طريق آخر يتحدث عن غير يوم القيامة!! والقرآن الكريم مليء بالآيات الكريمة التي تتحدث عن تحريف اليهود للكتب السماوية بما تهوى أنفسهم وتكسب أيديهم.

الخاتمة

لقد تم بفضل اللَّه تعالى الجزء الخامس من سلسلة موسوعة الآخرة بعنوان البعث والنشور.. ولقد بذلنا ما بوسعنا أن نقدم في هذا الجزء الحقائق كاملة بما في أيدينا من العلم عن البعث والنشور، وأسندنا بعض الحقائق وأيدناها بالعلم الحديث الذي لا يخالف في جميع نظرياته حقيقة انتهاء الحياة في هذا الكون، ولكن لا يملك العلم ومهما تطور وتطورت تكنولوجيته أن يؤكد لنا حقيقة أن هناك بعثاً ونشوراً لتلك الخلائق والأجيال التي تعاقبت ومنذ آدم عليه السلام.. فالعلم يؤكد أنه في يوم ستنتهي الحياة في هذا الكون لأن ما يراه أن كل شيء آيل إلى فناء ونهاية.. ولكن أنّى له العلم بقيام حياة أخرى بعد قيام الساعة وبعث الخلائق ونشرهم وحسابهم... فهذا يبقى في علم الغيب ولولا أن اللَّه سبحانه أخبرنا في كتابه الكريم وفي جميع كتبه السماوية وعلى ألسنة جميع رسله وأنبيائه عن حقيقة البعث والنشور لما علمنا عن هذا الأمر شيئاً.. ولكن.. طالما أن العلم يؤكد حقيقة هذا الفناء فإن العقل يؤكد حقيقة البعث بعد الموت والحساب بعد العمل والجنة أو النار مصيراً... ولقد قدَّمنا ما نستطيع في هذا الجزء (البعث والنشور) الأحداث الحقيقية لكيفية البعث ودلائله من القرآن الكريم وسنة رسول اللَّه ﷺ وعمدنا بفضل اللَّه إلى بعض التفسير والتحليل وتقديم الرؤية الواضحة

لحقيقة البعث وثبوت ذلك قطعاً عند أهل العلم، وقدَّمنا أيضاً الكثير من التفسيرات والبيانات عند أهل التفسير لكثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.. ومما لا شك فيه عند أهل العلم جميعاً يقيناً أن البعث والنشور حقيقة مطلقة لا يجوز أن يردهما الإنسان، وعليه الاستسلام لقدرة الخالق الذي أوجده وأحياه وأماته، ولا حقيقة بعد الموت وعالم البرزخ إلا الساعة، ومن ثَمَّ البعث والنشور والوقوف بين يدي اللَّه سبحانه للحساب والجزاء والعقاب ولا يمكن لعاقل أن ينكر هذا أبداً... ولا يمكن لعقل مخلوق أن يرد هذا أبداً إلا إذا اتخذ الشيطان له ولياً من دون اللَّه سبحانه.

وما قدَّمنا من مراحل للبعث والنشور لا يخالف العقل، فكل الأحداث منسجمة مع الحقائق المقبولة، وجمع رفات البشر معجزة إلٰهية ولكنها ليست معجزةً يخالفها العقل بل يتوافق معها، وخاصة بعدما رأينا قدرة الإنسان الضعيف على فعل المعجزات العلمية ووصوله إلى تلك التكنولوجيا التي أوصلته إلى بعض كون اللَّه سبحانه من كواكب وأقمار فاطلع على بعض ما يجري من حوله ولا يجد لها تفسيراً، واللَّه سبحانه يعلم أن هذا حق وأن قيام الساعة والبعث والنشور حق ولكنه أقسم للناس حتى يزدادوا اطمئناناً وقبولاً ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾.

[سورة الذاريات، الآية: ٢٣]

وأخيراً أرجو اللَّه سبحانه أن يعفو ويصفح عن ما بدر منَّا من تفسير وتحليل إن أخطأنا فيهما، فاللَّه سبحانه وحده مطلع

على القلوب ويعلم ما توسوس به النفوس كما أرجو من ربي وخالقي ومعيني الذي لا تضيع عنده مثاقيل الذر من العمل أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي وميزان حسنات كل من ساهم في هذه الموسوعة (موسوعة الآخرة) كتابة ومراجعة وقراءة ومساهمة والله من وراء القصد.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف
ماهر أحمد الصوفي
أبو ظبي ص. ب ٢٩٢٢

كتب وأبحاث صدرت للمؤلف
ماهر أحمد الصوفي

١ ـ آيات اللَّه في البحار.
٢ ـ من آيات اللَّه في السماء.
٣ ـ من آيات اللَّه في السماء (آية الكرسي).
٤ ـ هل يوم القيامة خمسون ألف سنة؟
٥ ـ الحور العين ونساء الدنيا.
٦ ـ الرزق والمال بين السُّنة والقرآن.
٧ ـ الإسلام والقرن الواحد والعشرون.
٨ ـ الصلاة على المذاهب الأربعة.
٩ ـ الصيام على المذاهب الأربعة.
١٠ ـ الطهارة على المذاهب الأربعة.
١١ ـ الزكاة على المذاهب الأربعة.
١٢ ـ الحج على المذاهب الأربعة.
١٣ ـ الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم.
١٤ ـ آيات اللَّه في النفس والروح والجسد.
١٥ ـ الوجيز في تفسير وإعراب وبيان كلمات القرآن الكريم جزء (١ ـ ٢).
١٦ ـ الهبوط على المرِّيخ وبيان قدرة اللَّه.
١٧ ـ أسياد الدنيا وأسياد الآخرة.

١٨ ـ المجدد لدين اللّه تعالى.
١٩ ـ المرأة في ميزان الواقع بين الحق والباطل.
٢٠ ـ الإنسان في عالم الذنوب والتوبة والغفران.

المجموعة القصصية الإسلامية والعلمية:

٢١ ـ المجموعة الأولى: العودة إلى الحياة.
٢٢ ـ المجموعة الثانية: الاغتراب.
٢٣ ـ المجموعة الثالثة: المتمردة.
٢٤ ـ حتمية الإيمان بالقضاء والقدر.
٢٥ ـ عالم الإنس والجن والشياطين بين الحقائق والأوهام.
٢٦ ـ السحر والتنجيم بين الحقائق والأوهام.
٢٧ ـ صفوة الدعاء وأسرار الابتلاء والامتحان.
٢٨ ـ عالم البرزخ بين الحقائق والأوهام.
٢٩ ـ فقه وأحكام المرأة المعاصرة.
٣٠ ـ فقه العبادات على الطريقة التعليمية.
٣١ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة.

موسوعة الآخرة:

٣٢ ـ علامات الساعة الصغرى والوسطى.
٣٣ ـ علامات الساعة الكبرى.
٣٤ ـ الموت وعالم البرزخ.
٣٥ ـ الحشر وقيام الساعة.
٣٦ ـ البعث والنشور.
٣٧ ـ بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى.

٣٨ ـ الحساب والعرض على اللّه سبحانه.

٣٩ ـ الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات.

٤٠ ـ النار أهوالها وعذابها.

٤١ ـ جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها.

مراجع موسوعة الآخرة

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ صحيح البخاري.
٣ ـ صحيح مسلم.
٤ ـ اللؤلؤ والمَرجان فيما اتفق عليه الشيخان..
٥ ـ مسند الإمام أحمد.
٦ ـ سنن التِّرمذي.
٧ ـ سنن ابن ماجه.
٨ ـ سنن النسائي.
٩ ـ صحيح ابن حِبان.
١٠ ـ صحيح الجامع الصغير للسيوطي.
١١ ـ المعجم الأوسط والكبير للطبراني.
١٢ ـ سنن أبي داود.
١٣ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني.
١٤ ـ صحيح ابن خزيمة.
١٥ ـ شعب الإيمان، والبعث والنشور، للبيهقي.
١٦ ـ المستدرَك للحاكم.
١٧ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس/ الشيخ إسماعيل العجلوني الشافعي.

١٨ ـ الصفوة المنتقاة من كتب الرواة للأحاديث النبوية الصحيحة ـ للمؤلف.
١٩ ـ تفسير ابن كثير.
٢٠ ـ تفسير ابن جرير.
٢١ ـ صفوة التفاسير للصابوني ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٢٢ ـ الموسوعة القرآنية الميسرة ـ طبعة دار الفكر ـ دمشق.
٢٣ ـ فتح الباري لابن حجر العسقلاني.
٢٤ ـ فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
٢٥ ـ جامع الأصول: ابن الأثير.
٢٦ ـ مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي.
٢٧ ـ شرح العقيدة الطحاوية.
٢٨ ـ الروح لابن قيم الجوزية.
٢٩ ـ الحلية: أبو نعيم.
٣٠ ـ مجموعة المحاضرات العلمية ـ الدكتور عبد المجيد الزنداني.
٣١ ـ الإشاعة لأشراط الساعة: محمد بن رسول الحسيني البرزنجي.
٣٢ ـ التذكرة للقرطبي ـ طبعة ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ صيدا.
٣٣ ـ أهوال يوم القيامة: الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الشافعي الدمشقي.
٣٤ ـ الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة: للإمام أبي حامد محمد الغزالي.
٣٥ ـ التخويف من النار: للحافظ أبي الفرج ابن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي.

٣٦ ـ كبرىٰ اليقينيات الكونية: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.
٣٧ ـ القيامة الصغرى والكبرى: د. عمر سليمان الأشقر.
٣٨ ـ الإيمان بعوالم الآخرة: عبد اللَّه سراج الدين.
٣٩ ـ الحور العين ونساء الدنيا: للمؤلف.
٤٠ ـ آيات اللَّه في البحار: للمؤلف.
٤١ ـ آيات اللَّه في السماء: للمؤلف.
٤٢ ـ اليوم الآخر: عبد القادر الرحباوي.
٤٣ ـ جهنم أهوالها وأهلها: للعلامة صدِّيق حسن خان.
٤٤ ـ يوم الحشر: أ ـ د محي الدين الصَّافي.
٤٥ ـ التفسير المنير ـ الدكتور وهبة الزحيلي.
٤٦ ـ لوامع الأنوار البهية: ابن المبارك.
٤٧ ـ الزهد والرقائق وزيادات الزهد: ابن المبارك.
٤٨ ـ شرح النووي على مسلم: للإمام النووي.
٤٩ ـ مختار الصِّحاح: دار المعارف مصر.
٥٠ ـ الكبائر: للذهبي.
٥١ ـ الهيثمي: الفتاوى الحديثية.
٥٢ ـ الترغيب والترهيب: الحافظ المنذري.
٥٣ ـ التوهم والأهوال: المُحاسبي.
٥٤ ـ الدار الآخرة: محمد متولي الشعراوي.
٥٥ ـ القيامة بين العلم والقرآن: الدكتور داود سلمان السعدي.
٥٦ ـ المصنف: ابن أبي شيبة.

فهرس المحتويات

سلسلة

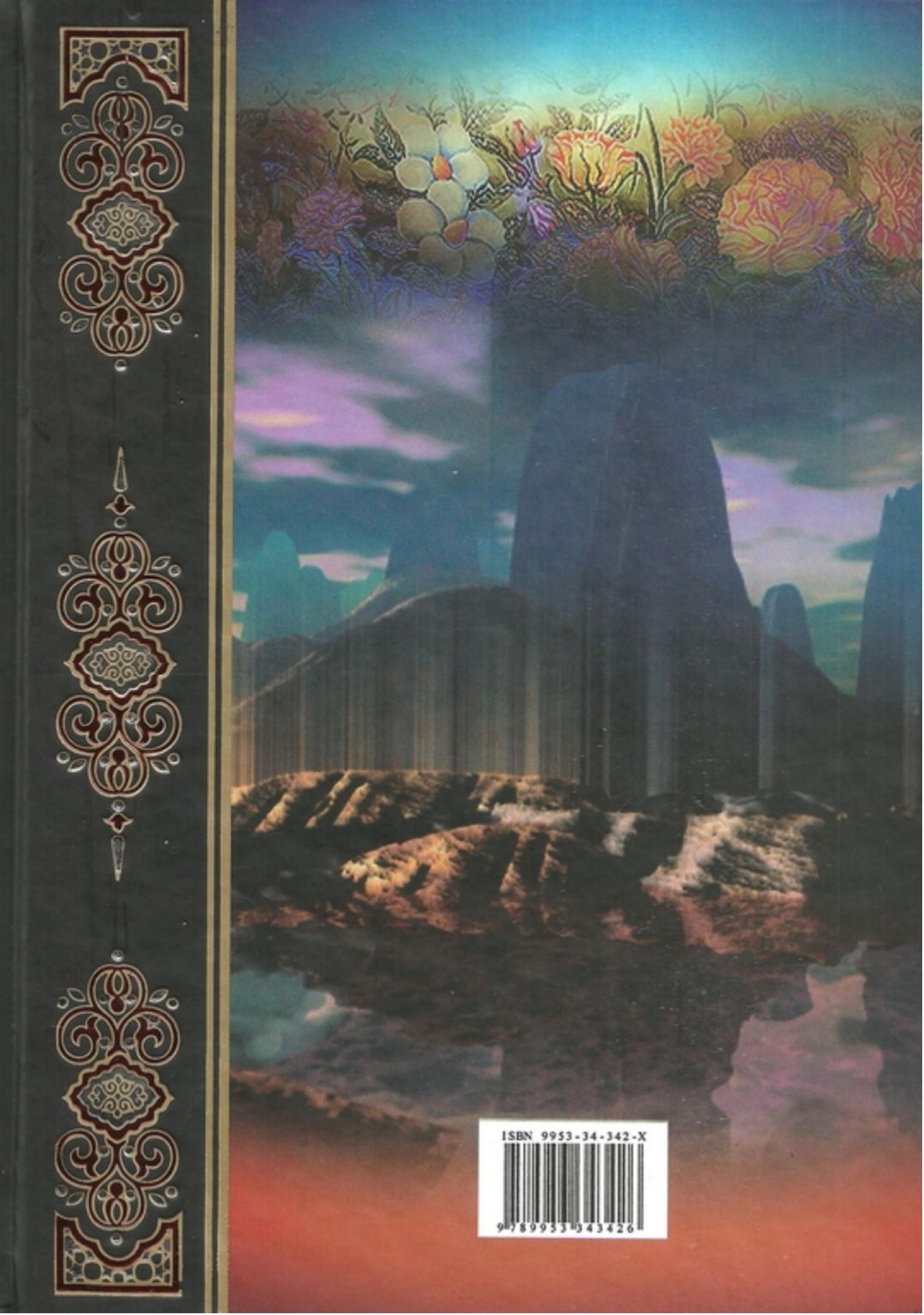
موسوعة الآخرة

هذا العمل الموسوعي ليوم القيامة يُعَدُّ عملاً غير مسبوق من حيثُ اشتمال الموسوعة على عشرة أجزاء. . . . تناول الكاتب في كل جزء منها موضوعاً مستقلاً من موضوعات الآخرة بكل دقة وتفصيل. . . . معتمداً على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والتحليل والتفسير وآراء العلماء السابقين والمعاصرين. . . . ومعتمداً على الحقائق العلمية في تفسير الأحداث الكونية والتغيُّرات البشرية والجيولوجية في جميع مراحل يوم القيامة.

أسماء وعناوين أجزاء موسوعة الآخرة

١ ـ الجزء الأول : علامات الساعة الصغرى والوسطى
٢ ـ الجزء الثاني : علامات الساعة الكبرى
٣ ـ الجزء الثالث : الموت وعالم البرزخ
٤ ـ الجزء الرابع : الحشر وقيام الساعة
٥ ـ الجزء الخامس : البعث والنشور
٦ ـ الجزء السادس : بداية يوم القيامة ـ أرض المحشر ـ الحوض ـ الشفاعة العظمى
٧ ـ الجزء السابع : الحساب والعرض على اللَّه سبحانه
٨ ـ الجزء الثامن : الميزان ـ الصحف ـ الصراط ـ أنواع الشفاعات
٩ ـ الجزء التاسع : النار أهوالها وعذابها
١٠ ـ الجزء العاشر : جنان الخلد نعيمها وقصورها وحورها

الناشر


ISBN 9953-34-342-X
9789953343426